المـَرأَةُ والسِّـلْمُ في الشِّـعرِ الجَـاهِـليّ

أ.م.د. علاء جاسم جابر
جامعة بغداد
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

كانت للمرأة -في العصر الجاهلي- مكانةٌ مرموقة، وكان لها أثر في جميع مناحي الحياة، ولها رأي في تفاصيلها..وعلى الرغم مما اعترى الحياة الجاهلية من صراع، وصل أحياناً الى درجة الإشتباك والتقاتل، بسبب ظروف موضوعية معروفة. إلاَّ أن هناك الجانب الآخر من الحياة الطبيعية، الجانب الأصيل في المجتمع العربـيّ - والمجتمعات عموماً - وهو الحياة المستقرة الهادئة الهانئة المسالمة، فكان أفراد المجتمع جميعاً، يتوقون الى تثبيت أركان السلم وتعزيزه- ولاسيما عقلاؤهم وحكماؤهم-فالحرب مهما طالت واتسعت تبقى طارئةً واستثناءً، يشجبها العقلاء وينفر منها الحكماء ويعافها الصغار والكبار، لأنها تناقض طبيعة النفس الانسانية المجبولة على الحبِّ والخير والإخاء.

والمرأةُ تُشكِّل نصفَ المجتمع -في كل زمان ومكان-وهي، بحكم مواقعها المهمة ووظائفها الخطيرة، لابدَّ أن يكون لها موقف فيما يحدث في الحياة، وفي العلائق الاجتماعية المختلفة، وتعاملات الناس.. وقد حباها الله تعالى، عاطفةً جياشة ونزوعاً فطرياً للمحافظة على الأسرة ورعايتها وتجنيبها كلَّ ما يزعزع استقرارها وأمانها، فصارت –بطبعها- داعيةَ خير وسلام؛ فهي تخاف على أبيها وأخيها وزوجها وبنيها. نجد ذلك واضحاً فيما فاهت به شواعر العرب، وفيما ذكرها به الشعراء، في شتى المناسبات والأحوال.

البِنت:

ومِن نساء العرب، اللائي ذكرْنَ آباءهنَّ في شِعرهنَّ، قولُ بنتِ مُلاعبِ الأسنَّة، ترثيه(١): (من الرجز)

لو كانَ شَيء مُدركَ الفلاحَ
أدركَهُ مُلاعِبُ الرِّماحَ
كان غِياثَ المُرمِلِ المُلتاح(٢)
وعِصمةً في الزّمَن الكَلاّحِ(٣)

فقد كان أبوها معروفاً بالشجاعة والبطولة، لكنه -في الوقت نفسه-، كان يصبو نحو الفلاح؛ فقد كان مُغيثاً لفقر الفقراء وسنداً لعَوَز المحتاجين، كان سخّياً كريماً، وهذا-الكرم-كان يحمي الناس من الانحراف الذي قد تُسببه الحاجة. إذن هو لم يكن يستغل الضعفاء، بقوة غاشمة، بل كان رادعاً لها؛ ليبقى السلام.

الأُخت:

وإذا كانت المرأةُ، لم تَظهر كثيراً من موقع البنت –ربما- بسبب موت الأب-غالباً-ولما تبلغ مبلغ النساء. فقد ظهرت المرأة، أُختاً في أوقات كثيرة، وأحداث يغلب عليها الرِّثاء؛ إذ يَعُزّ على المرأة، فَقدُ الأخ الذي رافقها حياتَها، وكان صاحباً وصديقاً لها، وسنداً وعضداً الى جانبها منذ طفولتها..

تقول جَنوبُ بنت العجلان الكاهليّة، في رثاء أخيها عمرٍو ذي الكَلْب: (من البسيطِ)

كلُّ امرئٍ بِطَوالِ العيشِ، مَكذوبُ ... وكلُّ مَن غالبَ الأيامَ، مَغلوبُ(٤)
وكلُّ مَن حَجَّ بيتَ اللهِ مِن رَجلٍ ... مُودٍ، فَمُدْرِكُه الشُّبّانُ والشِّيبُ(٥)
وكلُّ حَيٍّ، وإنْ طالتْ سلامتُهمْ ... يوماً، طريقُهمُ في الشَّرِّ، دُعبوبُ(٦)
بَينا الفتى ناعمُ راضٍ بِعيشتِهِ ... سِيقَ له مِن نَوادي الشَّرِّ شُؤبوبُ(٧)

تبدو الشاعرةُ ماسكةً بِزمام أعصابها – وهي المرأة الرقيقة – إذ تفوح من فمها الملتاع، الحكمةُ الصادرة عن واقع حياتها؛ فتقول له: حتى لو طال عمرك، فهناك قَدَر الموت بالمرصاد، وهو غالبُ كلِّ حيّ، ولافرق عنده

الشاب والشيخ، كلهم هالكون، وهذا طريق مُذلَّل يسلكه الناس. ولكنها ترى القتلَ -خاصةً – شرّاً؛ إذ يعيش المرءُ، حياته الاعتيادية ناعماً هانئاً، فإذا تصيبه نَفحةُ من شرٍّ وبلاء، وهذا أفدح آثار القتال. فالحرب – إذن- بشعة ممقوتة، أما الذي تحبه، ويرتاح إليه – وبه - الجميع، فهو السلم الذي تتمنى بقاءه - وفي المقابل هزيمة الحرب-إذن هذه دعوة الى السلم.

تقول، جَنوب –أيضاً- في رثاء أخيها عمرو: (من البسيط)

وليلةٍ يَصطلي بِالفَرثِ جازرُهَا   يَختصُّ بالنّقَرَى المُثرينَ داعِيْهَا(٨)
لايَنبَحُ الكَلبُ فيهَا، غيرَ واحدةٍ   مِنَ العِشاء، ولا تَسري أفاعِيهَا
أطعمتَ فيها، على جُوعٍ ومَسغبةٍ   شَحمَ العِشارِ، إذا ما قامَ باغِيهَا(٩)

إذا كانت خِلالُ المرء تُقيِّمه، فإن أخاها، له القِدح المُعلَّى في الكرم، ففي الليالي الشديدة البرد، عندما يخصّ الأثرياء دعوتهم، ويتوقف الكلب عن النّباح والأفعى عن الحركة. يُقيم عمرو، مأدبة شهية، للجميع. ويبقى هو طاوياً لئلا يزاحم أحداً، أيُّ إيثار يَعمُر قلبه، وأيُّ حبّ عميم؟ أفلا يكون هذا وأمثاله ركائز لبناء السلام؟

ولِعمرو بن العجلان، أختٌ أخرى؛ هي عَمرةُ الكاهلية، قالت ترثيه: (من المتقارب)

وقد عَلمَ الضيفُ والمُجتدونَ   إذا اغبرَّ أفْقٌ وهبّتْ شَمالاَ(١٠)
وخلَّت عَنَ اولادِهَا المُرضِعاتُ   ولَمْ تَرَ عَينٌ لِمُزنٍ بِلالاَ
بانّكَ كنتَ الربيعَ المُغيثَ   لِمَنْ يَعتريكَ وكنتَ الثِّمالاَ(١١)

تتَّفق عَمرةُ مع أختها في إشادتها بكرم عمرو، فهو الربيع المغيث لكل طالب، في أحلك الظروف وأقسى الأحوال فهذا التراحم والتكافل؛ لابدَّ أن يُثمر اطمئناناً وأماناً في المجتمع عموماً.

وقالت أمُّ عمرو، تبكي أخاها رَبيعةَ بن مُكدِّم: (من البسيط)

مابالُ عَينيكِ فيها الدمعُ مِهراقِ   سُحًّا، ولاعازِبٌ لا لا ولا راقِ

أبكـي علـى هالـكٍ، أودى وأورَثنـي بعـد التفـرُّقِ حُزنـاً بعـدَهُ بـاقِ
لـو كـان يُرجِـعُ مَيتـاً وَجدُ ذي رَحِـمٍ أبقى أخي سالماً، وَجدي وإشفاقي
أو كـان يُفـدى لَكـان الأهـلُ كلُّهـمُ ومـا أُثَمِّـرُ مِـن مـالٍ، لـه واقِ
لكنْ سِهامُ المنايَا مَن نُصبنَ لـه لـم يُنْجِـهِ طـبُّ ذي طـبٍّ ولا راقِ
فاذهب فـلا يُبعِـدنْكَ اللهُ مِـن رجـلٍ لاقـى الـذي، كـلُّ حـيٍّ مِثلَـهُ لاقِ
فسـوف أبكيـهِ، مـا ناحـتْ مُطوَّقـةٌ وما سَريتُ مع الساري على ساقي
أبكـي لِذِكرتـهِ عَبـرى مفجَّعـةً ما إنْ يَجفُّ لها مِن ذِكرهِ ماقي(٢١)

حقّا إنَّ الموتَ مُصيبةٌ فادحة؛ تودي الى البين النهائي؛ فتفرِّق أعزَّ الأحباب، مثيرةً ألماً مُمضاً وحُرقة لاتبرد، وهكذا تبقى أمُّ عمرو، تبكي أخاها بدموع غزار، وهي مستعدة لفدائه بكل غالٍ ونفيس- لو يعودُ - ولكنه لن يعود ولاشيء يُعيده بعد ما مضى، كما مضى مَن قبله، وسيمضي مَن بعده.وهل ينفع البكاء؟ إذن على المجتمع أن يحافظ على أفراده، كي لايصاب أحد ولا يُفجع بعزيز، ولات حين مَندم، فَلْيتسالم الجميع وليهنأوا بحياة آمنة معافاة من الأكدار.

وتذكر سُعدى بنتُ الشَّمردَل الجُهنيّة -في رثاء أخيها-أروع ما كان يتَّصفُ به، وهو الشهامة والحرص على كل الأصحاب والعطف والاندفاع لمساعدة المكلوم: (من الكامل)

وبِـهِ إلـى أخرى الصِّحابِ، تَلَفّتٌ وبِـهِ الـى المكروبِ جَريٌ زَعْزعُ(٢٢)

أَفلا يستحق - مثلُ هذا - أن يُنصبَ عَلماً ومناراً، للسلام والوئام في المجتمع؟

وتُؤبِّن مَيّةُ بنت ضِرار بن عمرو الرِّديم، أخاها قَبيصة: (من الكامل)

لاتَبعَـدَنَّ، وكـلُّ حَـيٍّ ذاهـبٌ زَيـنَ المَجـالسِ والنّـدِيِّ قَبيصَـا
يَطـوي- اذا مـا الشُّـحُّ أبهَـمَ قُفْلَـهُ بَطنـاً- مِنَ الزادِ الخَبيثِ- خَميصَـا(٢٤)

وإن كانت تعلم – يقيناً - أن كلَّ حيٍّ لابد أن يموت؛ فـ **(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)**(٢٥).

لكنها تتمنى له البقاء، لانه كان يَزين المجالس والأندية، فوجوده كان إيجابياً ومفيداً، لايرغب عنه أحد، فضلاً عن انه كان عفيفاً-على فقره- فلا يكون كَلاًّ على أحد.

وتُوبِّخُ فارعةُ بنتُ شدّادٍ المُرِّيّةُ، بني جَرْم، وهي ترثي أخاها مسعوداً، وكانوا أَسَروه، ثم لم يسقوه حتى مات عطشاً: (من البسيط)

هلاَّ سَقَيتُمْ-بَني جَرم-أسيرَكمُ   نفسي فِداؤكَ من ذي غُلةٍ صادِ
نَحَّارُ راغيةٍ، قتّالُ طاغِيةٍ   حلاَّلُ رابيةٍ، فكّاك أقيادِ[٦]

فهذا من الافعال الشنيعة التي تُنكرها النفس الانسانية، ويأباها الخلق العربي، لذلك فالشاعرة تُوبِّخ هؤلاء، لالقتلهم أخاها-وهي جريمة- وإنما لانهم لم يَسقوه، وهذا التصرف من الخزي في عُرف الجاهليين-وهم أهل الكرم- في حين، أنه كان مطعاماً للفقراء، قامعاً للطغاة المعتدين، جواداً متسامحاً؛ يُطلق أساراه.. أهكذا يُقابَل؟ لكن هناك- في كل مجتمع- شواذ، خارجون على الأعراف السليمة والتقاليد القويمة.

وهناك حادثة مماثلة، فقد قضى عمرو بن عاصية السُّلَمي، عطشاً، عند بني سَهم بن معاوية من هذيل، فتلهَّف قلبُ أختِه رَيطة عليه حسرةً، فقالت مُؤنبةً أولئك القساة القلوب: (من البسيط)

يالّهفَ نفسي، ولَهفٌ ضُلّة جزعاً   على ابن عاصية، المقتولِ بالوادي
هلاَّ سَقَيتمْ-بَني سَهْم-أسيرَكمُ   أهلي فداؤكَ، مِن مُستورِدٍ صادِ[٧]

وكان عبد عمرو، وشى بِطَرَفة بنِ العَبْد، الى عَمرو بن هند-ملك المناذرة- فقتله، فذكرتْ الخِرنَق بنت بدر بن هفّان- أخت طرفة لأُمه-هذه الوشاية مُبيِّنةً بشاعةَ أثرها: (من الطويل)

أرى عبدَ عَمرٍو قد أشاطَ ابنَ عَمّهِ   وأنْضَجَهُ في غَلّي قِدرٍ ومايَدري[٨]

فالوشاية عملٌ قبيح، يمكن أن يؤدي الى ما لا تُحمد عُقباه، وفعلاً قد أدى الى مقتل طرفة، لذلك تنتفض أختـه، داعيةً على الواشي، ناعتةً إياه بأخبث النعوت: (من الوافر)

الاَ ثَكِلتْكَ أمُّكَ، عَبدَ عمرٍو،   أَبا الخَربَاتِ، آخيتَ المُلوكَا[٩]

ودفاع الشاعرة عن أخيها- إذ فُجعتْ به - إنما هو دفاع عن أرواح الناس وحياة المجتمع، وعن السلام في المحصلة النهائية.

كان يزيدُ بن عبد المَدان- وهومن أقيال اليمن- قد أطلق أسر عامر بن مالك- مُلاعب الأسنّة-وأخيه عُبيدة- الوضّاح-وهما نزارّيان- ثم مات يزيد، فقالتْ زينب بنت مالك العامرية، ترثيه، وفاءً لإطلاق أخويها: (من المتقارب)

سأبكي يَزيدَ بنَ عبدِ المدَانِ — علـى أنّهُ الاحلَمُ الاكرَمُ
رِماحٌ مِنَ العَزمِ، مَركوزةٌ — مُلوكٌ، إذا برزتْ تَحكُمُ(٢)

نعم، لابد أن يُحمدَ فعلُ الخير، إذ كان الوفاء لأولئك الأخيار، تشجيعاً لهم، وحثّاً للآخرين على التأسِّي بهم، لاسيما وأن هذا المنعِم، لم تكن تربطه بالمنعَم عليهما، قرابة، فكان حقاً لهذه الشاعرة الوفية؛ أن تذكر الجميل، ولاتنسى صاحبه، وإن مات، وبذلك تتدعَّم صروح السلام.

والخنساء، من أعلام شواعر العرب، كانت قد فَقدتْ أخويها، معاويةً وصخراً، فاشْتُهِرتْ برثائها، ولايعدم الناظر في هذا الرثاء، حُسنَ الخصال والمحامد، التي تصلح أن تكون قاعدة راسخة للسلم في ذلك العصر. ولقد كان التأكيد على هذه الصفات، دليلاً على إرادة أثرها الطيب في المجتمع، وأن من اتصف بها، له القبول والمكانة والمقام الأرفع؛ لأن أرواح العرب وقلوبهم، تنزع الى كلِّ ما يُريح النفوس، ويهدئ الناس، ويشيع الاطمئنان والاستقرار فيما بينهم، ومن ثَمّ يعمّ الخير والأمان والسلام.

قُتل أخوها معاويةُ بنُ عَمرٍو بنِ الشّريدِ، أولاً، فقالت ترثيه: (من الطويل)

لاَشيءَ يبقى غيرُ وجهِ مَليكنَا — ولستُ أرى حيًّا على الدهرِ خالِدَا
ألاَ إنَّ يومَ ابنِ الشريدِ، ورَهْطهِ — أبادَ جِفاناً، والقُدورَ الرّواكِدَا(٢)
هُمُ يِملؤُونَ لِليتيم إناءَهُ — وَهُمْ يُنجزُونَ لِلخليلِ المَواعِدَا(٢)

تُقدِّمُ -ابتداءً – إقرارها بهلاك المخلوقين، لكنها تنعى مقتل أخيها الذي أدى الى إبادة الجفان والقدور، التي كان يُقيمها لإطعام الجياع، وكذلك كان رهطه الذين فقدتْهم العشيرة؛ يرعون اليتيم، ويوفون للصديق؛ فأية خسارة حلّتْ، إذن؟.

وتُؤبّنُ أخاها كذلك: (من الكامل)

وأبو اليتامى يَنبتُونَ فِناءَهُ — نَبَتَ الفِراخ بُمكْلئِ مِعشابِ(٢)

فَلَئنْ هَلكْتَ، لقد غَنِيتَ سَمَيدعاً — مَحضَ الضّريبةِ، طَيّبَ الاثوابِ(24)
ضَخمَ الدّسيعةِ، بالنَّدى مُتَدفِّقاً — مأوى اليتيمِ، وغايةَ المُنتابِ(25)

اليتامى هم أضعف الناس، واحقّهم بالرعاية والاهتمام، فاذا كان الفقيد يغذوهم ويُربيهم، كانهم ينبتون بفنائه، فهو خير الناس حقاً-كما تشير الخنساء- وهو- الى ذلك- مقصد كلّ مَن مالت عليه-من الدهر- مَيلةً، فهو – بذلك- من عناصر أمان الناس، بل ركن من أركانه.
وتُرزأ الخنساء- مرة اخرى- بأخيها صخر، فتُصعَق: (من الكامل)

طَرقَ النّعيُّ على صُفينة بالـ — خَبرِ المُعمِّم من بَني عَمْرِو(26)
القومُ أعلمُ أنَّ جَفنتَهُ — تَغدو غَداةَ الرِّيحِ أو تَسرِي(27)
فإذا أضاءَ وجاشَ مِرجَلُهُ — فَلَنِعمَ رَبُّ النارِ والقِدر
أبلغْ مَواليَهُ، فَقَدْ رُزِئوا — مَولى يَريشُهمُ ولايَبري(28)
تَلقى عيالَهمُ نوافلَهُ — فَتصيبُ ذا الميسورِ والعُسرِ(29)
قَد كانَ مَأوى كُلِّ أرملةٍ — ومُدَفَّعٍ، لم يَدرِ او يَدري(30)

فقد أتاها نبأ موتِ أخيها؛ صخر- ليلاً- ولم يكن خبراً اعتيادياً؛ لذا كان وقعُهُ مدوِّياً. وكان الناس يعلمون مَن هو صخر، فَلَطالما نَحَرَ لهم وأطعمهم، في كل الأوقات؛ فكان يَطبُخُ ويوقد للسارين. وكان معطاءً لمن لا يرجو نوالهم، بل كانت تذهب عطاياه الى منازل الميسور، فضلا عن المعسور. وكان ملجأً لمن يَحقِرُهُ الناسُ، من الضعفاء والمعوزين، سواء الكبار الذين يعرفون ذلك، أم الصغار من اليتامى الذين لايعرفون.
هكذا كان صخر؛ باذلاً ماله وجهده وهمَّه للجميع، فكان حقاً على الجميع أن يفتقدوه ويبكوه، ولاسيما أخته الخنساء، التي ظلَّت تبكيه وتبكيه في جملة كبيرة من قصائدها. بل ترى حقاً على كل مُنتسب الى مَعَدّ، أن يبكيَه: (من الوافر)

لِيبَكِ الخيرَ صَخراً مِن مَعَدٍّ — ذَوو أحلامها، وذَوو نُهاهَا(31)

فالعقل والوفاءُ، يدعوان الى المشاركة في بكائه؛ لما كان له من أيادٍ بيض، أسداها سابغةً، لم تستثنِ أحداً. وتُعدُّ مِن فيض فضائله ومآثره التي حُرِمَها الناس، بمختلف أصنافهم وشرائحهم: (من الطويل)

لَهفي على صَخْرٍ، لقَد كانَ عِصمةً — لِمَولاهُ، إذ نَعلٌ بِمَولاهُ، زَلّتِ

يَعـودُ علـى مَـولاهُ، مِنـهُ برأفَـةٍ ... إذا مـا لمـوَالِي مِـن أخيهـا تّخلّـتِ
وكنـتَ اذا كـفٌّ أتَتْـكَ عَديمـةً ... تُرَجّـي نَـوالاً مِـن نَوالـكَ، بُلّـتِ
ومُختنِقٍ راخى ابنُ عَمرو خِناقَهُ ... وغُمَّتَـهُ، عَـنْ وَجهـهِ، فَتَجلَّـتِ
وظاعنـةٍ فـي الحيِّ، لـولا عطـاؤهُ ... غـداةَ غَـدتْ مِـن أهلهـا، مـا استقلَّتِ[٣٢]
وكنـتَ لنـا غَيثـاً، وظِـلَّ رَبابـةٍ ... إذا نحـنُ شِـئنا بـالنَّوالِ، اسَـتهلَّتِ[٣٣]
فَتـىً كـان ذا حِلـمٍ أصـيلٍ وتُـؤدةٍ ... إذا مـا لحُبَـا -مِـن طـائفِ الجهـلِ- حُلَّـتِ[٣٤]

فهذا رجل فاضل، ذو خُلق كريم بذاته، وفي تعامله وتصرُّفهِ مع الآخرين، كله حُسنٌ وإحسانٌ. ما الذي يُثمر وجوده بين الناس؟ غير الراحة والأمن والسلام.. لذا كان الاحبَّ الى قلب أُخته؛ فبقيتْ ترثيه ماحَيِيَتْ: (من الطويل)

ومـاذا ثَـوى فـي اللّحـدِ تحـتَ تُرابـهِ ... مِنَ الخيـر، يـا بُـؤسَ الحـوادثِ والـدَّهرِ[٣٥]
مِنَ الحَزمِ في العَزّاءِ، والجُودِ والنّدى ... لـدى مُلكـهِ، عِنـد اليَسـارةِ والعُسـرِ[٣٦]
كـأنْ لـم يَقُـلْ: أهـلاً، لِطالـبِ حاجـةٍ ... بِوجـهٍ بَشـير الأمـرِ، مُنشـرحِ الصّـدرِ[٣٧]
ولـم يتنَـوّرْ نـارَهُ الضـيفُ مُوهِنـاً ... إلـى عَلَـمٍ لايَسـتكِنُّ مِـنَ السَّـفرِ[٣٨]

ماذا غيّبتْ حوادثُ الدهرِ عن الخنساء، غيرَ الإحباط والهلاك؟ بفقد صخر الذي كان من مآثره إطعام القوم في العسر واليسر، وكان -مع ذلك- هيّناً؛ ليس بِشكسٍ ولا عَسرٍ، بل كان أمره كله: بشير حسن. وكان مضيافاً.. ولاتني تذكره بخصاله الحميدة: (من مجزوء الكامل)

والآخِـذِ الحَمـدَ الثَّمِـينَ مَـ ... آخِـذَ الحَسَـبِ الصَّـرائحْ[٣٩]
والجـابرِ العَظـمَ المَهِـيضَ مِـ ... نَ المُصـاهِرِ والمُمَـانِحْ[٤٠]
والغـافِرِ الـذّنبَ العظـيمَ لـِ ... ذي القَرابَـةِ والمُمـالِحْ[٤١]
والواهِـبِ العِـيسَ العِتَـا ... قَ مـعَ الخَناذِيـدِ السّـوابِحْ[٤٢]
بِتَغمُّـدٍ منـهُ وحِلـمٍ ... حِـينَ يُبغـى الحِلـمُ راجِـحْ[٤٣]

فقد كان صخرٌ، يأخذ الثمن المرتفع الغالي من حمد الناس؛ بحسَبه الخالص، وفِعاله الحسنة الكثيرة التي يقوم بها بصدق، من دون مراءاة لأحد، بل يسترها ويحجبها عن أنظار الناس. وهو -الى ذلك كله- حليم حين يُحتاج إليه ويُطلب.

ولاتنفكُّ الخنساء ترثي أخاها: (من المتقارب)

إذا بَسـطَ القَـومُ عنـدَ الفِضـالِ   أكُفَهـمُ تَبتغـي المَحمـدَا
وكـان ابتـدارُهمُ للعُلـى   أشـارَ فَمـدَّ إليهـا يَـدَا[٤٤]
فَنـالَ التـي فـوقَ أيـدِيهمُ   مِـنَ المجـدِ، ثُـمَّ انْتحـى مُصـعِدا[٤٥]
جَمُـوعُ الضُّـيوفِ إلـى بَيتـهِ   يَـرى أفَضـلَ الكَسـبِ أنْ يُحمـدَا
غِيـاثُ العَشـيرةِ، إنْ أمْحلـوا   يُهـينُ الـتِّلادَ، ويُحيـي الجَـدَا[٤٦]

وهكذا كان صخر، مُبيراً لما ورثه من أموال، واصلاً بها مدداً من عطاياه، فكان الثناء الجميل ينهال عليه من كل جانب، وبقي ذكره حيًّا طيِّباً في القلوب. وكذلك كان ثناء أُختهِ لا يَفتُر: (من السريع)

نِعـمَ أخـو الشّـتوةِ، حَلّـتْ بـهِ   أرامـلُ الحَـيِّ، غَـداةَ البَليـلْ[٤٧]
أتَينـهُ مُعتَصـماتٍ بـهِ   يُعلِـنَّ بالـدعوى، نِـداءَ الأليـلْ[٤٨]
لايقصُـرُ الفَضـلَ علـى نَفسـهِ   بَـلْ عِنـدَهُ مَـنْ نابَـهُ، فـي فُضـولْ[٤٩]
تَشـقى بـهِ الكُـومُ لـدى قِـدرِهِ   والنـابُ والمُصـعَبةُ الخَنشَـليلْ[٥٠]

فنفسُـهُ الكبيـرة قـد وسـعتْ كـل النـاس، وفضـلُهُ الكبيـر قـد غطـى احتياجـاتهم، وهـو-مـع ذلـك- لايحبس مافَضَـل من فضـله علـى نفسـه، ولكـن يعطيه الآخرين! فهل يُنسى مثل هذا الاخ الكريم: (من الرمل)

مَعقِـــلُ النـــاسِ اذا ماعَصَـــفتْ ... جِرْبيـاءُ الـرِّيحِ فيهـا بـالحَظِرْ(١)
يُطعــمُ القــومَ مِــنَ الشَّــحمِ إذا ... أغلَـتِ الشّـتوةُ أثمـانَ الجُـزُرْ(٢)

وإذا ماعزَّ الطعام، في الوقت العسر، كان صخر يُشبع القوم: (من البسيط)

والمُشبعُ القومَ إنْ هَبّتْ مُصَرصِرةً ... نَكبـاءُ مُغبـرَّةٌ، هَبَّـتْ بِصُـرّادِ(٣)

وعندما يَعنُف الطقس بالضيف، يكون صخرٌ مأواه: (من البسيط)

ومُنـزلِ الضَّـيفِ إنْ هَبَّـتْ مُجَلجلـةً ... تَرمي بِصُمٍّ سَريعِ الخَسفِ وَسَافِ(٤)

وكان نِعمَ الفنى، للضيوف ولكل طارق: (من البسيط)

نِعمَ الفتـى، كـان للأضـيافِ إنْ نَزَلـوا ... وسـائلٍ حَـلَّ بعدَ الهَـدْءِ مَحـروبِ(٥)

وكان عنصراً إيجابياً فاعلاً، في كل مايَعتَورُ المجتمع من مكاره ومصاعب: (من البسيط)

خَطّـابُ مَفصَـلةٍ، فَـرّاجُ مُظلِمـةٍ ... إنْ هـابَ مُفظِعـةً، أتـى لهـا بَابَـا(٦)

فلو كثر في المجتمع، أمثال صخر، أو كان أفراده، على هذه السجايا؛ متساندين متعاضدين متعاونين متحابين.. ألا يَحيَون مطمئنين آمنين؟ بسلام ووئام، بسعادة ورغد من العيش هنئ..؟

الأُختُ والزَّوجة:

قالت الخنساء: زوَّجني أبي، رجلاً، وكان سيِّداً معطاءً، فذهب ماله. فقال لي: إلى مَن ياخنساء؟ قلتُ: إلى أخي صخر، فأتيناه، فَقَسمَ ماله شطرين؛ فأعطانا خيرَهما. فجعل زوجي –أيضا- يُعطي، ويَحمل؛ حتى نَفدَ ماله. فقال: إلى مَن؟ فقلتُ: إلى أخي صخر، فأتيناه، فقسم ماله شطرين؛ فأعطانا خيرَهما. فقالت امرأته: أما ترضى أن تُعطيَها النصف، حتى تُعطيَها أفضلَ النصفين؟ فأنشأ يقول: (من الرجز)

واللهِ لا أمنَعُهَـــا خِيارَهَـــا
وَهْـيَ حَصـانٌ، قَـدْ كَفتْنـي عارَهَـا
ولَـو هَلكْـتُ، قَـدّدَتْ خِمارَهـا
واتَّخَـذتْ مِـنْ شَـعَرٍ، صِـدارَهَا(٧)

وقد صدق حدسه، وحقاً يَجدُرُ على أمثاله الحزن والأسى.. وهكذا كانت الخنساء مثالاً رائعا للأخت الوفية لأخيها، والزوجة البارَّة بزوجها، الحريصة على كيان عائلتيها، المحافظة على صلتها الحميمة بأُسرتها.. كما كان أخوها نِعم الأخ، كما وصفتْ. وفي كلام الخنساء -عن زوجها- مايُلفت النظر إلى أنه كان يحمل الدِّيات عن القتلى؛ كي يقطع دابرَ الحرب، ويتلافى تداعياتها؛ لتُقبَرَ؛ فيشعَّ السلام.

وبعد..تكون المصاهرة عاملاً قويّاً، لرصِّ صفوف القبائل وتلاحم أبنائها؛ لِتقوى وتمتدَّ أواصرُ المحبة والودّ والصفاء، بين أبناء المجتمع العربيّ عامةً.

ولكن قد يحدث -فيما بين أهل المرأة وأهل زوجها- حادثٌ سلبي، فتكون المرأة في حيرة من أمرها؛ فهي لا تستطيع أن تَتنكَّر لأهلها، في الوقت الذي لايمكنها التخلِّي عن زوجها! فكيف تتصرف لرأب الصدع؟ أمَّا إذا تجاوز الحدث كلَّ المحاذير، فَليُعِنِ اللهُ المرأةَ في محنتها وليُصبِّرْها على مُصابها.. كما حدث لجليلة البكرّية، حين قَتل أخوها جسَّاسُ بن مُرَّة، زوجَها كُليبَ بن ربيعة التغلبيّ. إذ نُكبتْ مرتين؛ بِفَقد زوجها وبِجُرم أخيها، فأمستْ بين نارين لامَنجا منهما.

ومما زاد فجيعتَها ألماً ومرارة، أنها طُردتْ من مأتم زوجها، ظنّاً من نساء قومه؛ أنَّ في وجودها شماتةً! فقالت، تعبيراً عن حُرقة مشاعرها في ذلك الموقف العصيب: (من الرمل)

يا ابنَةَ الأقوام، إنْ لُمتِ فَلاَ ... تَعجلي باللّومِ، حتى تَسألي
فإذا أنتِ تَبيَّنتِ التي ... عندها اللومُ، فَلُومي واعذُلي
إن تكن أُختُ امرئٍ لِيمتْ على ... جَزَعٍ منها عليه، فَافعَلي
لَو بِعَينٍ فُدِيَتْ عَيني سِوى ... أُختها وانفقأَتْ لم أحفَلِ
يانسائي دُونكُنَّ اليومَ قَدْ ... خَصَّني الدَّهرُ بِرُزءٍ مُعضِلِ
مَسَّني فَقدُ كُلَيبٍ بِلظىً ... مِن ورائي ولظىً مُستقبَلِ
جَلَّ عندي فِعلُ جَسّاسٍ فَيَا ... غُمَّةً للدهرِ، ليستْ تَنجلي
ورماني قتلُهُ سَيِّدَنَا ... رَمِيَةَ المُصمَى بِه المُستأصَلِ
فِعلُ جسّاسٍ، وماجاء بِه ... قاطعٌ ظهري، ومُدنٍ أجَلي
دَرَكُ الثّائرِ شافيهِ، وفي ... دَرَكي ثأريَ، ثُكلُ المُثكَلِ
لَيتَه كانَ دَمي، فاحتلَبوا ... دِرَراً منهُ، دَمي مِن أكحَلي

يـــــاقتيلاً هَـــدَّمَ الـــــدهرُ بــــهِ — ســـقفَ بيتَـــيَّ جميعـــاً مِـــن عَـــلِ
هَـــدمَ البيـــتَ الـــذي اســـتَحدَثْتُهُ — وبَـــدا فـــي هَـــدم بَيتـــي الأوَّلِ
لـــيسَ مَـــن يَبكيـــهِ يومـــاً واحـــداً — مِثـــلَ بـــاكي الـــدهرِ حتـــى يَنجلـــي
تَحمـــلُ العـــينُ قَـــذى العـــينِ، كمـــا — تَحمـــــــلُ الأُمُّ أذى مـــــــاتَفتلي(٤
إنَّنــــــي قاتلــــــةٌ مقتولــــــةٌ — فَلعـــــلَّ اللهَ أن يَلطُـــــفَ لِـــــيْ(٩

هذه-بلا ريب- مشاعرُ جيّاشة، ولكنها مُحبَطة، مُنكسرة خائرة.. فقدتْ الأعزَّ على قلبها- دون كل النساء- ومع ذلك، ترتفع منهن أصوات تلومها؛ مُحمِّلاتٍ إياها وِزرَ مَقتل زوجها! وهي التي به فُجعت! فأيُّ ألَمٍ مُضاعَف؟ هي فيه، وأيةُ مرارة مُمضَّة؛ تُعانيها؟.

ومع كل ذلك، تستجمع قِواها -ما استطاعت- وتحاول أن تحاور من عذلتها- ظلماً- بعقل منطقي هادئ: فتطلب اولاً ألاَّ تتعجَّل باللَّوم، حتى تستوضح الأمر وترى موقفها؛ فإذا كانت تستحق لوماً؛ فلتلُم. ولكنَّ آصرة الأخوة لايمكن فصمها، وإن كانت هي غير مسؤولة عما اقترف أخوها من جُرم. ثم تُشبِّه فَقدَ زوجها، بفقد إحدى عينيها، وهي مستعدة لفداء أخيها بعينها الأخرى- لو أمكن- إذ كان رُزؤها أعظم من سواها؛ فقد خسِرتْ زوجها، وستخسر أخاها أيضاً. وفي الوقت الذي تستبشع فيه مافعل أخوها، وتصف زوجها بأنه سيِّدُهَا، كما هو سيِّدُ القبيلة، وقد قصم أخوها ظهرَها، بقتل زوجها، وستلحق به لامحالة.

ثم تقول: إذا مائُثِرَ لكليب؛ فسيشفي أهلَه وقومَه، بينما سينضاف لي ثُكلٌ آخر. لذلك تتمنى لو كانت هي الضحية-ابتداءً- فداءً للطرفين، ليكون جريان دمها؛ حقناً لدماء القبيلتين الشقيقتين؛ إبقاءً للصِّلات الوثيقة بينهما، وحفاظاً على تماسكهما، وصيانةً للسلم فيهما.

لقد كان مصرع كليب، هدماً لبيتيها جميعاً، بيت أبيها وهو أسرتها الأولى، والبيت الذي استحدثته بزواجها من كُليب؛ الذي ستبقى تبكيه الى أن تموت. وستبقى عينُها تحمل ألمَ الفجيعة من دون أن ترتكب ذنباً -كما تحمل الأم أذى جنينها، فقد أمستْ قاتلةً مقتولة في آن معاً، ولا أحد يُصبِّرها ويُريحها -مما هي فيه- غيرُ الله تعالى؛ فهو اللطيف الخبير، وهو أرحم الراحمين.

ولا جَرَمَ أنَّ ما أبدته من مشاعرَ إنسانية عالية، تسمو على الحادث الجلل، وتُقابل الجريمة التي اقترفت، وتحاول أن تُجبرَ ما انكسر الى حدّ ما، بالرغم من هول المصاب فالكلامِ السليم الحكيم؛ يُقرِّب من تهدئة النفوس، فيميل بها الى التسامح؛ وصولاً الى استعادة الصِّلات الطيبة؛ والأواصر الحميمة؛ حمايةً للسلام العام.

وتَتَّجه جليلة البكرية، صوبَ أخيها جسّاس مُوبِّخةً: (من الطويل)

أخٌ وحــــريمٌ داخـــلٌ، إنْ قَطعْتــــهُ وكيـف يسـودُ القـومَ؟ مَـن قـد يَسُـوؤهَا
فمـا أنـتَ، إلاّ بـين هـاتينِ، صـانعٌ وكلتاهمــا وِزرٌ، وصَـــعبٌ كَؤودُهَـــا(١)

فأنتَ أخي، وإن اقترفتَ عظيماً-لا مفرَّ لي منكَ ولا فِكاك- ولكن **[سيّد القوم خادمُهم]**؛ فكيف تسوءُ قومَك، وتبغي الرفعة؟ هنا، تجعل أبناء القبيلتين قوماً واحداً؛ فلا فرقَ –عندها- بينهما. إذن كيف تتخلَّص من هذه الورطة الكؤود؟ إذ لابد من تسوية الأمر؛ لتعود مياه القبيلين إلى مجراهما.

الزَّوجة:

وتحدث -في مسيرة الحياة الاعتيادية- وفيات لرجال؛ يتركون أراملَ ثكلى، يجدنَ أنفسهنَّ وحيدات، بعدما تعودنَ العيش في كنف أولئك الأزواج، الراحلين إلى الأبد.. فكيف تكون اللَّوعة؟ بفقد أقرب الأحباء، وكيف تُنفَثُ الآهات، وتُطلَقُ الحسرات؟.

تُعبِّر سُهيَّةُ العبسيِّة، عن حالها، بعد فراق زوجها: (من الوافر)

جَفـاني الكَـرى، وأنـا فـي الغَسَـقْ وســاعدَني الـدَّمعُ، لَمّــا انْــدَفقْ(٢)
لقـد صِرتُ -مِـن بعدِهِ- فـي ضَنـىً وقلبــي -لأجـلِ الفــراقِ-احْتـــرَقْ(٢)

فهي في أرَقٍ دائم، لأن الوحشة تتكثَّف عليها، عندما يحلُّ الظلام، ولاتجد مَن كانت تحتمي بظله وتأنس بقربه، ولاتملك غير دمعها مواسياً؛ فجسمها صار يذوي حسرةً، وقلبها يحترق ألماً. وهذا من الوفاء الإنساني في أرقى معانيه؛ إذ لايفصم الموتُ رفقةَ العمر، وقد آلفَ اللهُ تعالى، بين قلبين؛ **(وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)**(٢). وهو مايجعل الأسرة متلاحمةً متعاطفة، والأسرة نواة المجتمع، الذي يسوده التعاضد والتصافي. ومِن ثَمَّ ترتفع الخصال الروحية السامية، لتُغطي الناس جميعاً؛ طيبةً وأمناً وسلاماً.

وتفقد حلِيمةُ الحضريَّة، زوجَها فتقول: (من الطويل)

يَقَـــرُّ لِعينـــي أنْ أرى لِمَكانـــهِ ذُرى عَقِـداتِ الأجـرعِ المُتقـاوِدِ[٦٤]
وأُلصــقُ أحشــائي بِبَــردِ تُرابــهِ وإنْ كــان مخلوطــاً بِسُــمِّ الأســاوِدِ[٦٥]

فترى فيه الشممَ والشموخ، حتى وهو في قبره، ولكنها لا تَقوى على مبارحة مكانه الجديد، حبًّا به وافتناناً؛ فلا يبرد شوقها إلاّ بإلصاق أحشاء جسدها بتُربته الندية، مهما كلّفها ذلك من عناء ومخاطر.. وهذا هو الوفاء الذي مابعده من وفاء.. فما وقعُ هذه المعاني الخُلقية النقية؟ على الأحياء وعلى الأزواج خصوصاً، وكلّ البشر، إما متزوجون أو سيتزوجون.. إنها تزيد من الإلفة والمودَّة والوئام.. بلا ريب.

وتُؤبّنُ الخِرنقُ بنت بدر بن هفان، زوجَها بِشر بن عمرو بن مَرثد: (من السريع)

ذاكَ، وقِـدماً يُعْجِـلُ البـازلَ الـــ كَومـاءَ بِـالموتِ، كَشِـبهِ الحَصـيْر[٦٦]
يَبغــي عليهـا القــومَ، إذ أرمَلـوا وســاءَ ظَـنُّ اليَلمِعِـيّ القَـرُورْ[٦٧]

وهذه-على طريقة الجاهليين- تُعدِّد مآثرَ زوجها، ولاسيما في الكرم، وهو من مفاخرهم العظمى، فهو يؤمِّن الطعام للجميع؛ فتأمنَ معشيتُهم، ويَحيَون في أمان.. فتذكر ما كان، من عادته -في حياته- من نحر الناقة الضخمة، لإشباع القوم- بلا استثناء- في وقت شحَّة الطعام.

هذا، وكان الرجالُ يَعرفون فضلَ نسائهم، فيذكرون أثرهنَّ الحميد. فهذا مُزرِّدُ بن ضِرار، يُبدي إعجابه وغبطته بزوجه: (من الطويل)

حَبـاني بِهـا رَبِّـي، صَـناعاً عَفيفـة علـى حاجـةٍ، إنَّ السـعيدَ سـعيدُ
وقـالَ رجـالٌ مِـن صَـديقيَ: إنّمـا يَنـالُ المُنـى والمُفرحـاتِ، يَزيـدُ[٦٨]

فالمرأة كهف الرجل ومرآته، والشاعر-هنا-يذكر خلالَ الزوجةِ الصالحة، ويشاركه -في تقويمه لها، وسعادته بها- أصدقاؤه الذين يثق برأيهم. بل إن رسولنا الأكرم (ص)، أشار إلى أن **(مِنْ سَعادةِ المرءِ، الزَّوجةُ الصَّالحة)** .. وصدق رسول الله (ص).

ربّما- نجد- من النادر، حتى في أيامنا- هذه- أن يمدح رجلٌ زوجَهُ، ولكن ما الضير في أن يُعطى ذا الحقِّ حقُّه؟ ويكون -في ذلك- تشجيعُ لصلاح الأُسر، الذي يُفضي الى سعادة المجتمع.. وإشاعة السلام.

الأُمُّ:

وللمرأة- أُمًّا- مواقفُ إيجابيةٌ كثيرة وكبيرة، يتجسَّدُ فيها السلام، أو يَنتجُ عنها؛ ثمرةً يانعةً من ثمارها الطيبة..

هذه أُمُّ النَّحيف العَبسيَّة، تزَّوج ابنها؛ سَعدُ بنُ قَرطٍ(٦٩) امرأةً على كُرهٍ، من أمه، فأساءت زوجتُهُ صحبتَهُ، ثم أراد طلاقَها، فمنعتْه أمُّه، وقالت له؛ عاتبةً ناصحة: (من الطويل)

لَعَمري لقد أخلَفتَ ظَنِّي، وسُوئَتني ... فَحُزتَ بِعصياني، النَّدامةَ، فاصبرِ

ولاتَكُ مِطلاقاً مَلولاً، وسامحِ الـ ... قَرينةَ، وافعلْ فِعلَ حُرٍّ مُشَهَّرِ

فَقد حُزتَ بِالوَرهاءِ، أخبثَ خُبثةٍ ... فَدَعْ عنكَ، ماقد قُلتَ-يا سعدُ-واحذَرِ(٧٠)

فكمْ مِن كريمٍ، قد مَنَاهُ إلهُهُ ... بِمَذمومةِ الأَخلاقِ، واسعةِ الحَرِ(٧١)

فَطاوَلَها حتى أَتَتْها مَنيَّةٌ ... فَصارتْ سَفاةً جُثوةً بين أقبُرِ(٧٢)

فأعقبَ لمّا كان بالصبرِ مُعصِماً ... فتاةً، تَمشَّى بين إتبٍ ومِئزَرِ(٧٣)

مُهفهفةَ الكَشحينِ، محطوطَةَ المَطا ... كَهَمِّ الفتى، في كلِّ مَبدىً ومَحضرِ(٧٤)

فقد كان رأيُ الأم-ابتداءً -أنَّ هذه المرأة، لا تصلُحُ زوجاً لابنها، لكنه خالف رأيها، فندمَ! فهل تتشفّى به؟ أو تُسرع إلى موافقته على التخلُّص منها؟ لاشئَ من ذلك. بل تطلب منه الصبر عليها، وأن يسامحها كما يفعل الأحرار. فالطلاق- كما جاء في الحديث الشريف- **(أبغَضُ الحَلالِ إلى الله تعالى)**.. وهي تعرف ذَميم خلق هذه الزوجة، ومع ذلك، تُحذِّر ابنها من معالجة الخطأ، بخطأ آخر، ربما يكون أفدحَ من سابقه؛ بما يترتب على الطلاق من آثار سلبية، تُوتِّر العلاقة بين القبيلين المتصاهرين، وقد تَبذر بذور الشحناء والبغضاء، بدل المحبة والصفاء.

لكنّ الأمّ- بما خبِرتْ من تجارب حياتها- ترى أنّ كثيراً من أكارم الرجال يُبتلَون بزوجات سيئات بذواتهنَّ، أو أخلاقهنَّ وتصرفاتهنَّ. فالأسلم- في هذه الحال- أن يتحمَّلها الرجل ويصبر، فلابد لها من أجل، يُخلِّصهُ منها.. وعندها ستكون أمامه حريّة الاختيار، وحسن الاختيار للزوجة الجميلة التي تروق له وتوافق هواه في كل حال ومآل.. إنَّ موقف الأم-هنا- حكيم؛ يحافظ على صلاح العلائق الأسرية والاجتماعية، ويصون السلام.

ولكن إذا ما خطفتْ يدُ المَنون أحدَهم، وهو في ريعان الشباب، فماذا يكون شعور الأم، وهي ترى فلذةَ كبدها، يُغيَّبُ عنها- بلا رجعة -ولاسيما إذا

كان موته قتلاً! تقول تُماضر بنت الشريعة السُّلَمية، ترثي ابنَها مالكَ بن زهير بن جذيمة العبسي: (من الوافر)

كـأنَّ العَـينَ، خالطَهـا قَـذاهَا ... لِحُـزنٍ واقـعٍ، أفنـى كَراهَـا(٥)
علـى وَلَـدٍ، وزَيـنِ النـاس، طُـرّاً ... إذا مـا النـارُ، لَمْ تَـرَ مَـن صَلاهَا(٦)
فَمَـنْ لِلضـيفِ، إنْ هبّـتْ شَـمالٌ ... مُزعزعـةٌ، يُجاوبُهـا، صَـداهَا(٧)
حُذَيفـةُ، سُـقِيتَ مِـنَ الغَـوادي ... ولا رَوَّتْـكَ هاطِلـةٌ، نَـداهَا(٨)
كمـا أفْجعْتَنـي، بِفتـىً كـريم ... إذا وُزنـتْ بَنـو عَـبسٍ، عَلاهَـا
فَـدَمعي بَعـدَهُ-أبـداً- هَطُـولٌ ... ولايَرقَـأُ مِـن عينـيَ، بُكاهَـا(٩)

فهذه الأم تُبدي حزنها العميق الذي جعلها في بكاء متواصل وأرق دائم، على ولدها الحبيب الذي كان زيناً كريماً في الملمات، فقد كان يوقد ناره للضيف، إذا بخل غيره بأموالهم وقت المجاعة. ثم تدعو على قاتله أن يُقبرَ ولايُمطَر- على طريقة الجاهليين- لأنه أفجعها بولدها الذي كان أكرم فتيان قومه، لذا فهي –أبداً- تبكيه وتئنُّ لفقده.

لقد بيّنتْ محاسنه ومآثره الحميدة، وأن الحياة من حق الأخيار، المحسنين إلى الآخرين. ولم تطلب سوى موت قاتله- وهذا حقُّها- كي لا يستشري القتل في الناس؛ لتُحقَنَ دماؤهم ويعيشوا آمنين.

وأنشد الأصمعي، لأمٍّ؛ من بني عمرو بن مالك بن كنانة، هي بَرَّةُ بنت الحارث، ترثي ابناً لها : (من الرجز)

يـاعَمرُو مـابِي عَنـكَ مِـن صَـبرِ ... يـا عَمْرُو، يـا أسَـفَا، علـى عَمـرِو
حِـينَ اسـتوى، وعَـلاَ الشـبابُ بـهِ ... وبَـدا، مُنيـرَ الوجـهِ، كالبـدرِ
وأقـامَ مَنطِقَـهُ، فأَحْكَمَـهُ ... ورَوى، وجـالسَ كـلّ ذي حِجـرِ(١٠)
ورَجَـا أقاربُـهُ، مَنافِعَـهُ ... ورأوا شَـمائلَ ماجِـدٍ، غَمْـرِ(١٢)

هذه الأمُّ، مُلتاعةٌ بفِقد عزيزها؛ لأنها قد فُجعتْ به حين استوى واكتمل حيويةً ورجولةً ومنطقاً وحكمةً، وصار أقاربه يرجون خيره وبرَّه.. فليستْ وحدها التي فُجعتْ، بل عشيرته وكلُّ الناس، إذ كان مدعاةً للنفع العام والإحسان الشامل.

جاء في أمالي الشريف المرتضى: حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ، قال: قال الرشيد، يوماً: يا أصمعي: أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً؟ فقلتُ: ما أعرف ذلك، إلاّ لِبشرِ بن أبي خازمٍ الأسديّ، فإنه هجا أوسَ بن حارثة بن

لأْم، فأسَرَهُ بعد ذلك، فقالتُ له أمّه- وكانت ذات رأي: والله، لامحا هجاءه لك،إلاّ مدحُه إياك. فعفا عنه(١١)، فقال بشر: (من الطويل)

وإنِّـي لَـرَاجٍ منـكَ يـا أوسُ -نِعمـة ... وإنِّـي لأخـرى مِنـكَ-يـا أوسُ -راهِـبُ(١٢)
فَهـلْ يَنفعنِّـي-اليـومَ-إنْ قُلـتُ إنّنـي ... سأَشكـرُ-إنْ أنعمـتَ-والشكـرُ واجِـبُ
وإنِّي قَدَ اهْجَرتُ، بالقَولِ ظالماً ... وإنِّـيَ منـهُ-يـاابنَ سُعدى-لتَائـبُ(١٤)
وإنِّـي إلـى أوسٍ، لِيَقبـلَ عِـذْرتي ... ويَعفـوَ عنِّـي، ماحَييـتُ، لَراغـبُ(١٥)
فَهـبْ لـي حيـاتي، فالحيـاةُ لِقـائم ... بشُكرِكَ فيهـا، خَيـرُ مـا أنـتَ واهـبُ
فقُلْ كالذي قالَ ابنُ يعقوبَ، يوسفٌ ... لإخوَتـهِ، والحُكـمُ فـي ذاكَ راسـبُ(١٦)
فـإنِّي سـأَمْحو بالـذي أنـا قائـلٌ ... بـهِ صـادقاً، ماقلـتُ إذ أنـا كـاذِبُ(١٧)

فهذه الأم الفاضلة، غيَّرتْ -بِحِنكتها وسَداد رأيها- الواقع من حال مُتوتِّر عصيب، إلى حال آخر مُنفتح مشرق بالتفاؤل والأمل.. فكان موقفها الحكيم هذا؛ موقفاً سلميّاً بحقّ؛ إذ كان الطرفان على شفا مواجهةٍ حامية، قد تنتهي بإراقة الدماء، واستحكام العداء بين قبيلتين كبيرتين- طيِّء وأسد- فجعلت ابنها يعفو، والشاعر يمدحه ويمتنُّ لِنعمته عليه، ويعترف بما أسلف من هجاء، قبيح بحقِّه، ويعلن براءته وتوبته من ذلك المَينِ الباطل. ويَحلو للشاعر، أنْ ينسُبَ، هذا الرجلَ الذي طوَّق عنقه بفضله -مدى الحياة- الى أُمه، في إيماءة ذكية إلى أنها كانت السببَ فيما يَنعِمُ به من حرَّية. ويستشهد بصفوة خلق الله تعالى- وهم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين- عندما عفا يوسفُ (ع)، عن إخوته الذين كادوا له؛ وهم جاهلون. وهكذا يكون للموقف الإيجابي السليم، أثَرٌ فعّال عظيم؛ إذ رفعهم من تعصُّبٍ أحمق مَقيت، إلى تسامحٍ ومحبة وصفاء وسلام، يرقى إلى مصافِّ أنبياء الله عليهم السلام.

وقد تكون الأمّ حاضرةً وإن لم تشهد!. فبعدما أسَر بِسطامُ بنُ قيس- في يوم زُبالة- رجلاً من يَربوع. أنشأ اليربوعيُّ-في الليل- يقول: (من الكامل)

فِـدىً بوالـدةٍ-علـيَّ- شـفيقةٍ ... فكأنّهـا حَـرَضٌ علـى الأسـقامِ
لـو أنّهـا علمـتْ، فَيَسُكنَ جاشُـها ... أنِّـي سَـقطتُ علـى الفتـى المِنعـامَ
إنَّ الـذي تَـرجينَ-ثَـمَّ-إيابَـهُ ... سَـقطَ العِشـاءُ بـهِ، علـى بسـطامَ
سَـقطَ العِشـاءُ بـهِ، علـى مُتـنعِّمٍ ... سَـمحِ اليـدين، مُعـاوِدِ الإقْـدامِ(١٨)

وكان بسطامٌ يسمعه، فقال: والله، لا يُخبِرُ أمَّكَ-عنك- غيرُك فأطلَقهُ..

فلا يبعد أن تكون بركاتُ الأمّ، ألهمتْ ابنها، هذه الأبيات الرقيقة، إذ ذكرها بهذه الصورة المؤثِّرة، ولِما لها من مَقام سام جليل، فضلاً عن مديح الآسر، بالخصال الكريمة التي يتوق إليها العربيَّ ويفخر بها، من الإنعام والسماحة.. جعلت بسطاماً يُطلقه، تصديقاً لما وصفه به، وتجسيداً للأريحية العربية التي تعلو على كل العنعنات..

فهل فوق مقام المرأة- أُمّاً -من مقام؟ إذ كان مجردُ ذكرها؛ يقلب أجواء الحرب، بما تجرُّه من تِراتٍ وأضغان، إلى جوٍّ مُفعم بالروح الإنسانية النبيلة، المُنفتحة نحو السلام.

مَكانةُ المَرأة:

قال أوسُ بن حَجَر، يحمد حَليمةَ بنت فضالة بن كَلَدة؛ يُثني عليها ويذكر يَدها عنده، ورعايتها له، حين صرعتْه ناقة: (من الطويل)

لَعَمرُكَ ما مَلّتْ ثَواءَ ثَويِّهَا   حَلِيمةُ إذ ألقَتْ مراسيَ مقعدِ[19]
ولكنْ تَلقّتْ بِاليدينِ ضَمانتي   وحَلّ بشَرجِ مِ القِبائِلِ عُوَّدي[20]
وإنْ نُعطَ لانجهلْ، ولا نَنطِقِ الخَنَا   ونَجْزِ القُروضَ أهلَها، ثُمَّ نَقصِدِ
لاتُظهِرَنْ ذَمَّ امرئٍ قَبلَ خُبرهِ   وبعدَ بَلاءِ المرءِ، فاذمُمْ أوِ احمَدِ[21]

فعندما أُصيب هذا الشاعر، قامت هذه المرأة المحسنة بإسعافه ورعايته، وأقام عندها يستقبل عوّادَه حتى شُفي. فإذن هذه يدٌ بيضاءُ، تُسديها امرأة تستحق عليها الشكر والثناء. كي يَعمَّ الإحسان.

وفي حادثة أخرى، أسر بنو مالك بن كنانة، دُريدَ بن الصّمة الجُشَمي، وكانت له على ربيعة بن مُكدِّم[22] نعمة فانبعثت امرأته؛ ريطةُ بنت جَذل الطِّعان - في الليل- تقول: (من الطويل)

سنجزي دُريداً-عَن رَبيعة - نعمةً   وكلُّ امرئٍ يُجزى، بما كان قدَّمَا
فلا تكفروه، حَقَّ نُعماهُ فيكمُ   ولاتركبوا تلك التي تملأُ الفَمَا[23]
فإنْ كان حيًّا، لم يَضِقْ بِثَوابهِ   ذَرعاً، غنيّاً كانَ، أو كان مُعدَما
ففُكُّوا دُريداً، مِن أسارِ مُخارقٍ   ولاتجعلوا البؤسى الى الشَّرِّ سُلّمَا
فقد أدركتْ كفّاهُ فِينا جزاءَهُ   وأهلٌ بأنْ يُجزى الذي كان أنعمَا[24]

فأصبح القومُ، فتعاونوا بينهم؛ فأطلقوه -استجابةً لإجارتها له، وجزاءً لمعروفه فكستْهُ وجهَّزتْهُ، ولحق بقومه فلم يزلْ، كافًّا عن حربهم، حتى هلك.

وهكذا يدوم المعروف، ويظهر السلام؛ حبيباً إلى قلوب الناس، ثابتاً، لأنه هو الأصل في الحياة الإنسانية عامة.

هذا وستردُ شواهدُ أخرى؛ تؤكد مكانة المرأة، في هذا الأتِّجاه.

حُبُّ المرأة.. سلام:

قال بعض التميميين: (من الطويل)

مَرْرنَـا علـى قَيسـيَّةٍ عامريَّـةٍ لهـا بَشَـرٌ صـافي الأديـم، هِجـانِ
فقالتْ، وألقتْ جانبَ السِّترِ دُوننَا: مِنَ ايـةِ أرضٍ، أو مَـنِ الـرجلانِ؟
فقلـتُ لهـا: أمَّـا تَمـيمٌ فأُسـرتي هُـديتِ: وأمَّـا صـاحبي فَيمـاني
رفيقـانِ ضَـمَّ السَّـفرُ، بَينـي وبينـهُ وقـد يلتقـي الشَّـتَّى، فَيأتَلفـانِ(١٩)

فقد اجتمع رجل من تميم، وآخر من اليمن، فصارا رفيقينِ؛ يسيحان- أرض العرب- بإلفةٍ ومحبة وأمان. وقد مَرَّا بامرأةٍ عامريّة من قيس، وجرى بين العربيين والعربية، حديثٌ ودّي عفيف، أسقط دعوى العداء بين القيسيّة واليمانيّة.

وكانت امرأةٌ من العرب، ذاتُ جَمالٍ وكمال، وحسَب ومال، آلتْ ألاّ تُزوِّجَ نَفسهَا، إلاّ كريماً. فانتدب لها: زيدُ الخيل، وحاتمُ بن عبد الله، وأوسُ بن حارثة بن لأم، الطائيُّون.. فقالت: لِيَصِفْ كلُّ واحدٍ منكم نفسه. فقال زيد الخيل: (من البسيط)

والجـارُ يَعلـمُ، أنِّـي لَسـتُ خاذِلَـهُ إنْ نـابَ دهـرٌ لِعَظمِ الجـارِ مُعتَـرِقُ(٢٠)

فلم يجد الشاعرُ- وهو الفارسُ البطل المعروف- أفضلَ من هذه الخَصلة الإنسانية السلمية الناجعة في حياة العرب، وهي إجارة المستجير وحمايته، ولاسيما مَن قلب له دهرُه ظهرَ المِجَنّ. هنا تكمُن البطولةُ الحقّة، وهذا هو الإنسان الممتاز. والملاحَظ -هنا- أنَّ للمرأة حقَّ اختيار الزوج! فأيةُ مكانة؛ كانت لها؟ عند الجاهليين.

المرأةُ والجِوار:

والجِـوارُ؛ ممـا يُشـيعُ الأمـانَ والاطمئنـان فـي نفـوس النـاس جميعـاً، مادامت هذه السجيّة؛ من شمائل العرب التـي يفخـرون بهـا. قالـت الخنسـاء: (من الكامل)

ولقـــد أخَـــذْنَا خالـــداً، فأجـــارَهُ عَـــوفٌ، وأطلقَـــهُ علـــى قَـــدْرِ[٩٧]

كان السُّلميّون؛ قد أَسَرُوا، خالداً الأسديَّ. لكنَّ الخنساء، تمدح عَوفاً، إذ أطلق الأسير، على اقتدار منه، وهذا الفعل الإيجابي السديد، هو الذي يُعبِّرُ عن القوة الحقيقية، قوة الموقف السلمي، لا العكس.

والشاعرُ الأعنقُ بن الباهليّـة الحُبيبـي، أحد بنـي لُبينـي، يُخاطـب امرأةً حنظليةً، جاورته، ومعها إبلٌ لها: (من الطويل)

لَـــكِ اللهُ ألاّ تَســـتذِلّي، بأرضـــنَا وألاّ تَـــرَيْ مِنّـــا مَقـــامَ دَنـــاءِ[٩٨]

هكذا كانـت المـرأةُ عزيـزةً مصـانةً مكرَّمـةً، عنـد أهلهـا وعنـد العـرب عمومـا، مـع ملاحظـة أنَّ هذه المـرأة تملـك إبـلاً؛ فلهـا حـقُّ الملكيـة، والإبـل تَرعى، والمعروف أنَّ الماء والكلأ، شحيح عزيـز- فـي أرض العـرب- ومـع ذلـك يتعاهـدها المُجيـر بـلا تضـجُّرٍ أو تَمـنُّن، ويُلاحَـظ –أيضـاً- أنَّ الشـاعر يُنسَـبُ إلـى أُمـه، وهـذا تكـريم آخـرٌ كـان للمـرأة عنـدهم. وقـد عُـرف عـددُ مـن الجاهليّين؛ بنسبتهم الى أمهاتهم، منهم ملوك.[٩٩]

المرأةُ مسؤولـة:

وتبـرز المـرأة العربيـة- إذ ذاك- مشـاركةً فـي أخطـر الأحـداث، فاعلـةً فيهـا. عنـدما استجارتْ (الحُرَقة)؛ هنـد بنـت النعمـان المنذريـة بـ(الحُجَيجة)؛ صفية بنـت ثعلبـة الشيبانية- ضـد كسـرى –فأجارتهـا، وأعلمـتْ قومَهـا بـذلك، فلبَّوا النداء إلى نجدتها، وحاربوا جنود كسرى وهزموهم فـي وقـائع ذي قـار. سَجّلت الحجيجةُ، ماحدث في أشعارها: (من البسيط)

يا عَمرُو، عمرُو أجِبْني، يا ابنَ ثَعلبةٍ يـــا شِـــبْهَ بَـــرّاقَ، يـــوم القتْـــلِ والسَّـــلْبِ
لا تَكشُــفوني بِهــذا اليــومِ، وارتَقِبــوا يَــومي، لِوقــتِ اجتمــاعِ العُجــمِ والعُــرْبِ[١٠٠]

تبدو هذه المرأة- هنا –مُتصدية لِواجب المواطَنة، شأنُها شأنَ الرَّجل، فتخاطب -أولاً- أخاها؛ عمرَو بنَ ثعلبة، مُشبِّهةً إياه بِـبرَّاق بن رَوحان الأسدي، الذي أنقذ ابنةَ عمِّه من أسر الفُرس.[١٠]

ثم تُوجِّهُ نداءها إلى قومها، بل إلى العرب جميعاً، فهذا خطر خارجيٌّ، يُزعزع أمنَ العرب قاطبةً. فكان نِداؤها مؤثِّراً، وكانت الاستجابة سريعةً قوية مقتدرة، لأنهم –بذلك- يدافعون عن أرضهم ووجودهم.

وهكذا لبّى القومُ النداء، وتصدَّوا لِجُند الفرس؛ فَهَزموهم. وتُسجِّل صفيةُ بنت ثعلبة، هذا النصر: (من البسيط)

إنِّي وعَمراً، على وَعدٍ يَفيُ بِه ... مِنَ الوفاءِ، وأسبابٍ مِنَ الذَمَمِ
هذا مَقالي، وقومي قائلونَ معي ... كما أقولُ، لسانٌ صادقٌ بفَمِ
أنا الحُجيجةُ مِنْ قَومٍ ذوي شَرفٍ ... أُلي الحِفاظِ، وأهلِ العِزِّ والكَرَمِ
قولوا لِكسرى: أَجَرنا جارةً، فَثوَتْ ... في شامخِ العِزِّ -يا كسرى- على الرُّغُمِ
نَحوطُ جارتَنا مِن كلِّ نائبةٍ ... ونَرفِدُ الجارَ، ما يرضى مِنَ النَّعَمِ[٢٠]

تُشيد الشاعرةُ بالنصر الذي تحقق على المعتدين، ذاكرةً أخاها الذي أيّدها أوّلاً ووفّى، ثم تُشيد بقومها الذين صنعوا هذا النصر؛ ببطولتهم وتضحياتهم. فتفخر بقومها، وتؤكد لكسرى أنهم يُجيرون مَن استجار بهم- ولاسيما من أبناء جِلدتهم- ولايتراجعون عن ذلك، ولايتخلَّون عن المُستجير، مهما كلَّفهم ذلك من ثمن، بل هم يُحيطونه برعايتهم ويُكرمونه غاية الإكرام. وهذا سبيلهم الذي يُشيع الطمأنينة ويُرسِّخ السلم عندهم.

لكن كسرى أراد أن ينتقم للهزيمة التي مُنيتْ بها قواته -بقيادة عامله منصور- فأرسل قوةً عظيمة على رأسها القائدُ الطُّحَيح. وقد رأى القائد- وهو عربي- أن ينصحَ لبني شيبان ويُحذِّرهم، فأرسلَ إليهم –سِرّاً – يُعلمهم بأمر كسرى. فأجابته صفية بنت ثعلبة : (من الكامل)

للهِ دَرُّكَ مِن نَصيحٍ صادقٍ ... والنُّصحُ رأيُكَ-أيُّها الإنسانُ[٢٠]
واللهُ يَجزيكَ الذي أرسلتَهُ ... إنّ المُهَيمِنَ، واصلٌ مَنّانُ
جاءَ الرسولُ بنُصحِهِ، ولأنَّهُ ... مَحفُوظَةٌ أسرارُهُ، وتُصانُ
لكنَّ دُونَ السِّلم، سُمرٌ ذُبَّلٌ ... لِمَعاشِري، مِن مَعشرٍ فِتيانُ[٤٠]
جِنِّيُّ حَربٍ- في الحروبِ- مُجرَّبٌ ... ولدى السلامةِ، إنّهُ إنسانُ[٤٠]

وهذه من أروع الأبيات في هذا المَقام، إذ ترى أنّ هذه النصيحة- بسبب عظيم أثرها- لاتُقدَّر بثمن؛ لذا تجد نفسها عاجزةً عن شكره، فَتَكِلُ ذلك الى الله تعالى، فهو المُهيمِنُ على خلقه المَنّان بفضله، وهي تعلم أن موقف هذا القائد العربي الوفي، حَرِج، فتحفظ له سِرَّه وتصون سلامته. ثم تؤكد أنهم يعيشون بسلام- وهو طابَعُ الحياة الإنسانية الطبيعية- لذلك فالعرب كلهم، جنود بواسل للدفاع عن هذا السلم العتيد. وتنتهي بمقابلة لطيفة: فكل فتىً منهم، عندما تُفرضُ الحرب وتَسعر، يُصبح جِنِّيًا مارداً يصول ويجول فيها؛ مقداماً لايهاب الموت في سبيل حريته وكرامته، لكنه سرعان ما يعود الى إنسانيته الأصيلة، عندما تنتهي الحرب، ولايكون لها من سبب. فالسلمُ هو الأساس.

بِنتُ القَوم:

وكانت المرأةُ تُثني على رجال قومها -ولاسيما من ضحَّوا لأجل سلامة الآخرين- ذاكرةً الخلال الكريمة، التي هي قيم المجتمع الذي تعارف عليها، وتسالَم. تقول الخِرنق: (من الكامل)

إنْ يَشربوا يَهَبوا، وإنْ يَذْروا يَتَواعَظوا؛ عَنْ مَنطقِ الهُجْرِ
والخالطونَ نَحيتَهمْ بِنُضارِهمْ وذَوي الغِنى مِنهمْ، بِذي الفَقرِ(٦٠)
وتَفاخَروا في غيرِ مَجهلَةٍ في مَربطِ المُهُراتِ والمُهرِ(٧٠)

فهؤلاء -عند الشُّرب -يَهبُون كلَّ ما عندهم، كرماً. وفي غير ذلك؛ يَعِظُ بعضهم بعضاً، بعيداً عن المنطق الفاحش. ولا يرغبُ شريفهم عن وضيعهم؛ فلا يتكبَّرون. وإذا تفاخروا بأمجادهم،لايجهل أحدٌ منهم على صاحبه، فهم مُتَّزنون عقلاء.

وقالتْ راثيةُ بنتُ حبيب: (من الطويل)

مَطاعيمُ إذا قَحَطتْ جُمادى ومَسّاحُو المغَائظِ، بالجُنُوبِ(٨٠)

تنعتهم بالجود وقت الأزمات، وبالحلم؛ وهو سيد الأخلاق.

وتصف الخنساء، كرمَ قومها: (من الوافر)

يَكُبُّونَ العِشارَلِمَنْ أتاهُمْ إذا لمْ تُسكِتِ المِئَةَ الوَليدَا(٩٠)

إذا لم يكن في المئة من الإبل، لبناً؛ بِقدر ما يَروي الصبي، من شدة السَّنة. في هذا الوقت العصيب، ينحرون لأضيافهم العشارَ من النوق، وهذا منتهى السخاء.

فهذه السجايا التي يتحلى بها العرب- عموماً- تجعل الناس متكافلين متضامنين متعاونين، يتعاملون بالحسنى وبالخلق العالي. فيَسري بينهم الإحسان وتتعمق المودّة والإخاء والمحبة والأمان.. والسلام.

بِنتُ الأرض:

وكانت المرأة الجاهلية تعتزُّ أيَّما اعتزاز، بالأرض التي تنتمي إليها. قالت زينبُ الغطفانيّة: (من الطويل)

إذا حنَّتِ الشّقراءُ، هاجتْ لِيَ الهوى　　　وذكّرني لِلحرتينِ حَنينُهَا[11]
شكوتُ إليها؛ نأيَ قَومي وَهجرَهُمْ　　　وتَشكو إليَّ، أنْ أُصيبَ جنينُهَا[12]

عندما تخرج ناقة زينب من أرضها؛ تُبدي حنينَها إليها، فتشعر الشاعرة بذلك، فتهتاج مشاعرُها؛ شوقاً وحبّاً لهذه الديار، وتشكو الى ناقتها تَغرُّبَ قومِها وابتعادهم عنها، والناقةُ تشكو إصابة جنينها..وهكذا تتبادلانِ مشاعرَ الحب والاعتزاز والوفاء، لهذه الأرض وأهلها؛ فلا ينفصلان.. فهذه الرِّقَّة وهذه المشاعر الحرَّى التي يشارك فيها الحيوان.. أليست الأجدرَ؛ أن تُؤاخي البشر؟ لِيَعمروا أرضَهم بالخير، ويعيشوا فيها بأمان.

وتهاجِم الخِرنقُ بنت بدر، ملكَ المناذرة؛ عمرَو بن هند، لطرده بني مَرثْد، من ديارهم: (من الوافر)

ألاَ مَن مُبلِغٌ عَمرَو بنَ هِندٍ　　　وقد لاتَعدَمُ الحسناءُ، ذَامَا[12]
كما أخرجْتَنا مِن أرضِ صِدقٍ　　　تَرى فيها لِمُغْتبطٍ، مُقامَا[12]

نعم؛ تَعيبُ المرأة العربية -في ذلك العصر- على الملك، خطيأته بإخراج أهلها من أرضهم الحبيبة، أرضِ الصِّدق، التي كانوا فيها مُنعَّمين سعداء. فكان فعل الملك، مُسيئاً لاطمئنان الحياة، وسلامها.

المرأةُ تُبَشِّعُ الحَرب:

من البديهي أن الحربَ، تَطرأ على حياة الأمم والشعوب. ولايختلف اثنان من عقلاء الناس، على أنَّ الحربَ مَهلكةٌ مَفسدة، لايخرج منها رابح

حقّاً. ولايقبل بها لبيب، ولايدعو إليها إلاَّ مستهتر.. فالكلُّ نافر منها مستهجِن، ولا يدنو منها إلا مضطر؛ دفاعاً عن حياته أو شرفه أو ماله. والحكيم مَن دفعها، والحليم من تجنَّبها. فكلها شر، ونتاجها وبال. والخاسر الأكبر فيها، هي المرأة.

لذلك عملتْ على تداركها ورغَّبت الرجال عنها، وبشّعتْ صورتَها، لأنها تعلم ما يُصيبها منها، فالرجال؛ إما أبٌ لها أو أخٌ أو زوجٌ أو ابنٌ، والمالُ عيالها، وهي؛ شرفُ الأسرة، إن لم تصبها آلة الحرب، فقد تُسبى!..وتلك هي الطامَّةُ الكبرى..

وعلى هذا جاء شعرها؛ هجوماً على الحرب. قالت ذئبُ بنتُ نُشبةَ بن لأي: (من الطويل)

**ألاَ إنَّ يومَ الشّرِّ، يومٌ بِصُورةٍ 		ويومُ فناءِ الدَّمعِ، لو كان فانِيَا**
**لَعَمري لقد أنكَتْ قُرَيمٌ، وأوْجَعوا 		بِجِزعةِ بَطنِ الغِيلِ، مَن كان باكيَا[١٤]**

تصف الواقعة بيوم الشر، لانها تجُرّ الويلات والعويل، وكان السبب هو؛ عدوان بنو قُرَيم على فَهم؛ قومها.

أما جَليلةُ البكرية، فتُصوِّر الحيَّين-بكراً وتغلب- بعد مقتل كليب، وقد تقطَّعتْ بينهم الأرحام، وانحسرت المحبة والصِّهر والجوار، وتبدَّد الشَّمل بعد اجتماع.. تقول: (من الطويل)

**إذا الخيلُ سارتْ- بعد صُلحٍ- صدورُهَا 		وخُوِّفَ إبنَا وائلٍ، مِن عَشيرِهَا[١٥]**
**تَقطَّعتِ الأرحامُ، منهمْ، وبُدّلتْ 		ضَغائنَ حِقدٍ، بعد وُدٍّ، صُدورُهَا[١٦]**
**تَبدّد شملُ الحيِّ، بعد اجتماعهِ 		وغادرهَا، مِن بعدِ هَتكِ سُتورِهَا[١٧]**
**فَهاكُمْ حَريقَ النار، تُبدي شَرارَهَا 		فَيَقدحُ-في كلِّ البلادِ-سَعيرُهَا**
**فَقُوموا ودارُوا- ما اسْتطعتُمْ- ودافِعوا 		عَسى يَقشَعُ الإظلامَ عنكمْ، نُورُهَا[١٨]**

تُذكِّرُ، جليلةُ -التي نُكبتْ بالحرب - بكراً وتغلُبَ؛ بأنهما ابنا وائل، فكيف تتقابل خيلهما؟ بالرغم مما بين الحيين من صلاح وأرحام، هل يمكن أن يتبددَ شمل الحي، وينفضحَ القوم؟ وقد شَبَّهت الشاعرة ما قد ينتج من عداوة -جراءَ الحرب- بنار شبّت، فعمَّ البلادَ لهيبها؛ فلا تُفرِّق بين الأخضر واليابس. أيقبل بذلك إنسان عاقل؟ لذلك هي تُلحُّ عليهم أن ينتبهوا، ويُداروا-

ما استطاعوا- ويدافعوا عن سِلم حيِّهم، وسلامة أبنائهم، عسى أن تنتهي الأمور الى خير، فيقشع نورُ الحق والسلام، ظلامَ الظلم والجهالة.

وتُطلِق الخنساءُ، صرختَها مدُوِّيةً، ضد الحرب وأمرائها عامةً: (من البسيط)

والحربُ قد رَكبتْ، جَرباءَ باقرةً حَلّتْ على طَبَقٍ، مِنْ ظَهرها عارِ(١٢)

فالحرب قد ركبتْ، فتنةً طائشةً هوجاء مدمِّرة محرقة، وإنما تعني ساسةَ الحرب؛ أنهم قد ركبوا مركب سَوءٍ، وسيتعرضون لأمور شديدة لا يَقوون على مواجهتها؛ لأنهم لم يحسبوا حسابها. ومِن نتائجها الوخيمة؛ أنها تُفسد مابين الناس، بعد صلاح وسَلمٍ واتفاق. إذ تُشبِّه الحربَ بجنِّيةٍ بَشعة، أو شيطانةٍ مريدة؛ نزلتْ من على ظهر دابة جرباء مشؤومة، على طبَقٍ من الأرض، لاشيء عليه من ثوب ولاغيره؛ منكشفٍ عن ظُرِّهِ.(١٢)

فأنبأتْ أنَّ الحربَ تركبُ داهيةَ جرباء، فتلسع من تُدرك؛ فلا يكاد ينجو من لهيبها أحد- كما تَقبِسُ الجرباء في الإبل-فالحرب جَربةٌ، لأن فيها البلايا والقتل. ثم تترك القوم مُفَرَّقين؛ قد صَدعتْ أُلفتهمْ، وتضعضعت وحدتهم.

وقد جاءنا، في الحديث الشريف: **(ستأتي على الناسِ، فِتنةٌ باقرةٌ تَدَعُ الحَليمَ حَيرانَ)**.(١٢)

وهل بعد شناعة صورة الحرب- كما عرضتها الخنساء، ومَن سبقها - من شناعة؟. هكذا كان موقف المرأة –عموماً- في مناوءة الحرب، ودعم السلم، لأنها تُفكِّر بأسرتها؛ بجميع أفرادها، وبعلائق هذه الأسرة؛ من قَرابةٍ أو صِهر أو جِوار أو حِلف.. ومِن ثَمَّ تُصبحُ داعيةً لسلم المجتمع كله..

وربَّما كانت؛ تتدارك الأمرَ قبل وقوع المحذور؛ فتؤكد على وجوب الحفاظ على سلم المجتمع وصيانته وتدعيمه، والتحرُّك السريع؛ لوأدِ الفتنة في مهدها، ومقاومة أيِّ سبب لإثارة الاختلاف والخلاف، وما يُكّدر الحياة السليمة الصافية؛ ليحيى المجتمع مُعافى من كلِّ ما يُعكِّر مسيرته الرغيدة الهانئة.

والملاحَظ على جُلِّ شعر المرأة- هنا- الرِّثاء؛ وهو ما تُجيد، وما يصدر –صادقاً- من صميم الفؤاد، بشكل عفوي مباشر، إثرَ صدمة أو نكبة

أفقدتْها أحدَ أركان بيتها؛ الصغير أو الأكبر، من أهلها الأقربين، أو أحبابها الأبعدين.. فتنتفض نادبةً مُهوِّلةً ما تجرُّه الحرب؛ من ويلات وأنّات وحسرات، مالها من نفاد، وفي المقابل تدعو بصوت العقل والضمير؛ الى ترك العداوةِ والبغضاء، والتفرُّقِ والشَّحناء؛ والعودة الى الرُّشد والصلاح، واستئناف الحياة الإنسانية الطبيعية الأصيلة؛ حياةِ الوئام والمحبة والسلام.

وكثيراً ما كانت -المرأة- تُؤبِّن رجالاتها؛ بما كانوا يتحلَّون به من الخِصال العربية الكريمة، التي تُشكِّل معياراً لقيم المجتمع وفضائله ومبادئه، وهذه الشمائلُ والسَّجايا -في الوقت ذاته- تُعدُّ بمثابة مُمهداتٍ أو مقدمات؛ لقيام سلم رصين عتيد، أو تبني أُسساً أو أرضيةً صالحة للسلم المتكامل الشامل، أو هي دِعاماتٌ صُلبة لصيانة السلم وثباتهِ وديمومته؛ بما تَكفُلُ له من دوافعَ ناجعة، و مُقوِّمات حقيقية، وأركان راسخة.

المصادر

- **القرآن الكريم.**
- **أشعار العامريين الجاهليين**

جمعها ووثقها وقدم لها د.عبد الكريم إبراهيم يعقوب
دار الحِوار، دمشق، ط١ ١٩٨٢.
- **أشعار قبيلة ضبَّة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين**

عبد اللطيف حمودي كاظم الطائي
أُطروحة دكتوراه، آداب الجامعة المستنصرية، ١٩٩٥.
- **الأصمعيَّات**

اختيار الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك، ت٢١٦هـ
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون
دار المعارف، مصر، ط٤ ١٩٧٦.
- **أمالي السيد المرتضى: غُرَرُ الفوائد ودُرَرُ القلائد أربعة أجزاء**

الشريف أبو القاسم بن الطاهر أبي أحمد الحسين، ت٤٣٦هـ
صححه وضبط ألفاظه وحواشيه السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي
مطبعة السعادة، القاهرة،ط١ ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م.
- **أيّام العرب قبل الإسلام جزآن**

أبو عُبيدة مَعمر بن المُثنى التيمي، ت٢٠٩هـ
جمع وتحقيق ودراسة د.عادل جاسم البياتي
عالَم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت،ط١ ١٩٨٧.
- **الحماسة البصريَّة جزآن**

صدرُ الدين بن أبي الفرج بن الحسن البصري، ت٦٥٩هـ
تحقيق مختار الدين أحمد
عالم الكتب، بيروت، ط٣ ١٩٨٣.
- **الحماسة الشَّجريَّة قسمان**

ابن الشجريّ هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني، ت٥٤٢هـ
تحقيق عبد المُعين الملوحي وأسماء الحِمصي
مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد السورية، ١٩٧٠.

- **ديوان أَوس بن حَجَر**
تحقيق وشرح د.محمد يوسف نجم
دار صادر- دار بيروت، ١٩٦٠.
- **ديوان بِشر بن أبي خازم الأسديّ**
عُني بتحقيقه د. عِزَّة حسن
منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبعة محمد هاشم، دمشق،ط٢ ١٩٧٣.
- **ديوان بني بكر في الجاهليّة**
جمع وشرح وتوثيق ودراسة د. عبد العزيز نَبَوي
دار الزهراء للنشر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١ ١٩٨٩.
- **ديوان الخَنساء**
شرح ثعلب أبي العباس أحمد بن يحيى، ت ٢٩١هـ، حققه د.أنور أبو سويلم
دار عمّار، عمّان، د.ت.
- **ديوان زَيد الخَيل الطائيّ**
صنعة د.نوري حمودي القيسيّ
مطبعة النُّعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٨.
- **ديوان شعر الخِرنق بنت بدر بن هفّان**
تحقيق د.حسين نصّار
مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩.
- **ديوان المُزرِّد بن ضِرار الغَطَفانيّ**
رواية ابن السِّكيت وغيره، وشرح أبي العباس ثعلب، ت٢٩١هـ
عُني بتحقيقه د.خليل إبراهيم العطيّة
مطبعة أسعد، بغداد، ط١ ١٩٦٢.
- **ربيعة بن مُكدِّم حامي الظَّعينة**
د.عادل جاسم البياتي
مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع١٩، ١٩٧٦.
- **شرح أشعار الهُذَليين ثلاثة أجزاء**
صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكريّ، ت٢٧٥هـ

حققه عبد الستار أحمد فرَّاج، راجعه محمود محمد شاكر
مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٥.

- **شعراء بني قُشَير في الجاهليّة والإسلام حتى آخر العصر الأُمويّ قسمان**
د.عبد العزيز محمد الفيصل
مطبعة عيسى البابي الحلَبيّ وشُرَكاه، القاهرة، ١٩٧٨.

- **شعر سُلَيم في عصر ما قبل الإسلام**
عبد الحسين حداد كنيهل
أُطروحة دكتوراه، آداب جامعة بغداد، ١٩٨٩.

- **قبيلة عَبْس أشعارها وأخبارها في الجاهلية**
خالد ناجي حمد السامرائي
رسالة ماجستير ،آداب الجامعة المستنصريّة، ١٩٩٣.

- **كتاب الاختيارَين**
صنعة الأخفش الأصغر، ت٣١٥هـ
تحقيق د.فخر الدين قَباوة
مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٢ ١٩٨٤.

- **لسان العرب عشرون جزءاً**
جمال الدين محمد بن مُكرم بن منظور الأنصاريّ، ت٧١١هـ
نسخة مصوَّرة عن طبعة بولاق معها تصويبات وفهارس متنوعة
المؤسسة المصريّة العامة للتأليف والإنباء والنشر، د.ت.

- **الوحشيَّات، وهو الحماسة الصُّغرى**
أبو تمَّام حبيب بن أوس الطائي، ت٢٣١هـ
علَّق عليه وحققه عبد العزيز المَيمني الراجكوتي، زاد في حواشيه محمود محمد شاكر
دار المعارف، مصر، ط٢ ١٩٧٠.

الهوامش

(١) هو:ابو بَراء عامُر بن مالك بن جعفر بن كلاب.
(٢) الملتاح: المتغيِّر؛ من الشمس أو من السفر.
(٣) الكلاح: الشديد الضِّيق.
الحماسة الشجرية، ٣٢٩/١.
(٤) مكذوب،أي: يُكذَب بأن يَنال طولَ العيش؛ تكذِبه نفسُه بالأمانيّ.
(٥) مدركه؛ الهاء: للرجل.
(٦) طريق دعبوب: مَسلوك مَوطوء، رَكبتْه الإبل ووطئتْه
(٧) نوادي كل شيء:أوائله: شؤبوب: سحابة.
شرح أشعار الهذليين، ٥٧٨/٢.
(٨) أي: من شدة البرد، يُدخِل يديه ورجليه في الكِرْش. النقرى: أن يدعو واحداً من هاهنا، وواحداً من هاهنا، يَخصُّ ولايُعُمُّ. المثرون: الأغنياء.
(٩) المسغبة: الجوع، إذا اختلف اللفظان، جاؤوا بهما جميعاً. باغيها؛ الضيافة.
شرح أشعار الهذليين، ٥٨٢/٢.
( ) المجتدون: الطالبون، الِجدا: العَطيّة، الافق: ناحية السماء.
( ) الثمال: الغياث.
شرح أشعار الهذليين، ٥٨٥/٢.
(٢) ربيعة بن مكدِّم حامي الظعينة، د.عادل جاسم البياتي، ص٩٨-٩٩.
وينظر: أيام العرب قبل الإسلام، ٣٠٧/٢.
(٣) اخرى الصحاب: أواخرهم. زعزع:شديد.
الاصمعيات، ص١٠٣.
(٤) أشعار قبيلة ضّبة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين، ص٢٥٩،
٥ ( ) آل عمران، ١٨٥/٣.
(٦) الحماسة الشجرية، ٣٠٤/١.
وينظر الحماسة البصرية، ٢٢٠/١.
(٧) ١مستورد: طالب الورد؛ الشرب.
شعر سُلَيم في عصر ما قبل الاسلام، ص١٥٩.
(٨) اشاط: احرق، اشاط القدر: حرق مافيها ولصق بها.
ديوان شعر الخرنق بنت بدر بن هفان، ص٤٠.

(٩) الخربات: جمع خَرْبة، وهي: الفساد في الدين والخلق، والفعل القبيح.
ديوان شعر الخرنق بنت بدر بن هفان، ص٤١.

(٢٠) أشعار العامريين الجاهليين، ص٨٧.
(٢١) يوم ابن الشريد: يوم مقتله. ورهطه؛ من بني سُليم، الذين قتلوا معه.
(٢٢) ديوان الخنساء، ص٧٢-٧٣.
(٢٣) بمكلئ؛ ببلد مكلئ: كثير الكلأ والعشب.
(٢٤) السميدع: السيد الشريف، الكريم الطباع. المحض: الصافي. الضريبة: الطبيعة.
(٢٥) الدسيعة: مائدة الرجل، او الجفنة، او: العطية، او:الخِلقة، او: الطبيعة والخُلق.
ديوان الخنساء، ص٢٣٥-٢٣٦.
(٢٦) الصفينة: قرية لبني سُليم. المعمم: عمَّ البلاد والناس كلهم، وشاع. النعي: إذاعة خبر الموت.
(٢٧) تغدو.. او تسري؛ أي: نهاراً وليلاً.
(٢٨) رُزئوا: أصيبوا بعظيمة. يريشهم ولايبري: يعطيهم بلا مقابل. قال أبو عبيدة: الموالي في الجاهلية، أربعة: ابن العم (موالي النسب)، والحليف (موالي اليمين)، والمُنعِم، والمُنعَم عليهم.
(٢٩) نوافله: عطاياه.
(٣٠) الأرملة: المحتاجة. قال أبو سعيد الاصمعي: لم يدرِ أن هذا صخر؛ فألجأه صخر إليه، أو درى أنه صخر، فأتاه على معرفة.
ديوان الخنساء، ص١٠٩-١١٣.
(٣١) م. ن. ص٢٨٤.
(٣٢) الظاعنة:المرأة المرتحلة. استقلت: رحلت. أي: أن صخراً دفع مهورهنَّ؛ فتزوجنَ وارتحلنَ.
(٣٣) الرباب: سحاب يكون متدلياً دون السحاب، يكون اسود وابيض. النوال: العطاء، يقال: ناله يَنوله نَولاً، وأناله يُنيله إنالةً.
(٣٤) أصيل: له اصل. تُؤْدة، مخفف: تَؤُدّة، وهو: الأناة. الحُبا: جمع حَبوة؛ وهي: ثوب أوعمامة، كانت العرب تحتبي بها عند الجلوس، وذلك انهم كانوا يجمعون بين ظهورهم وسوقهم؛ ليستندوا، وحَلُّ الحبا؛ كناية عن القيام، كما أن عقدها؛ كناية عن القعود. الطائف: ما أَلَمَّ به من الجهل.
ديوان الخنساء، ص٤١٦-٤١٨.
(٣٥) يابؤس ..: أبأس اللهُ الحوادث والدهر.
(٣٦) العزّاء: الشدة. لدى مُلكه: لما يَملُك من ماله.
(٣٧) أهلاً: نزلت اهلاً.
(٣٨) تنوّرتُ ناره؛ بعدما لاحت لي ناره؛ فنظرتُ إليها، أتيته.العلم: الجبل.

ديوان الخنساء، ص١٣٠-١٣٣.

(٣٩) المآخذ: الأخلاق والمذاهب التي تأخذ بها، وقد تكون المذاهب كريمة اومعيبة، وغالباً ما تأتي بمعنى: مايُعاب على المرء، واحدتها: مأخذ. الصرائح: الخالصة.

(٤٠) المصاهرة؛ من الصِّهر، يقال: فلان مُصهر بي، أو ببني فلان؛ إذا كانت له فيهم قرابة. الممانح: المخالط بِخِلٍّ، الذي مانحه الصفاء والوُدَّ، والممانح: المكافئ.

(٤١) الممالح: الذي له قرابة، من الرضاع لامن النسب، أو: له حرمة، أو ذِمام.

(٤٢) الخناذيد: الطوال المُشرفة، من الخيل. السوابح: التي تجرُّ يديها على وجه الارض، فتدحو بأيديها التراب دحواً.

(٤٣) تغمد: بصدق نِيّة؛ لايُرائي فيما يفعل، وإنما يفعل الخير خِفيةً.

ديوان الخنساء، ص٣٤٠-٣٤٤.

(٤٤) أشار: نهض؛ الى العلى.

(٤٥) التي؛ للمكرمة. فوق أيديهم: فاتت أيديهم؛ فلم ينالوها، سبق الى الخير. انتحى مصعدا: ارتفع لأعالي المكارم.

(٤٦) أمحلوا: أجدبوا. التلاد: جمع تالد: القديم؛ المال الموروث. الجدا: العطية.

ديوان الخنساء، ص١٤٤-١٤٧.

(٤٧) البليل: الريح الممطرة الباردة.

(٤٨) الأليل: الثُّكلُ والأنين، وقلق المحموم واضطرابه، والمريض المتوجع.

(٤٩) من نابه: أتاه.

(٥٠) الخنشليل: القوية.

ديوان الخنساء، ص٣٠٧-٣١٢.

(٥١) معقل الناس: يلجأون إليه، إذا اشتدَّ البرد. عصفت الريح وأعصفت: إذا اشتد هبوبها، فهي: ريح عاصف ومعصفة. الجربياء: الشَّمال. الحظر: مايُحظَر به؛ من أغصان الشجر، وهو: الحِظار؛ الحظيرة: تُعمل للإبل لتقيها البرد والريح، وكل ماحال بينك وبين شيء، فهو: حظار، فاذا اشتدت الريح؛ طارت به.

(٥٢) ديوان الخنساء، ص٤١٠.

(٥٣) صرصرة: لها صوت نكباء: ريح مُحَرَّفة؛ تكون بين ريحين، بين الجنوب والشمال، أو بين الصَّبا والدَّبور. الصراد: السحاب الذي لاماء فيه، وفيه بَرد.

ديوان الخنساء، ص٣٩٦.

(٥٤) مجلجلة: لها صوت في هبوبها، والمجلجل من السحاب: الذي فيه رعد. الخسف: سنة شديدة. وساف: مُتَقشِّر.

ديوان الخنساء، ص٤٠٨.

(٥٥) الهَدء: الهُدوء. بعد الهَدء: بعد ساعة من الليل. المحروب: المبتلى باستلاب ماله.
ديوان الخنساء، ص٣١٦.

(٥٦) خطاب: خطيب، والخُطبة: الفصل، والفصل: الحقّ، لانه يفصل بها مايريد؛ فيصيب مَفصِلَ الحق، مفصلة؛ مفعلة من الفصل. أتى لها: هيّأ وقدّر ودّبر؛ حتى يصل إلى المفظعة: الأمر الشديد، فيزيلها؛ يهلكها.
ديوان الخنساء، ص١٥٥.

(٥٧) الصدار: ثوب؛ رأسه كالمقنعة، وأسفله يُغشي الصدر والمنكبين، كانت تلبسه المرأة ــفي الجاهلية- إذا ثكلتْ.
شعر سُليم في عصر ما قبل الاسلام، ص١٨٨.

(٥٨) تفتلي: تُربِّي.

(٥٩) ديوان بني بكر في الجاهلية، ص٤٠٠-٤٠٢.
وينظر: الوحشيات، وهو الحماسة الصغرى، ابو تَمّام، ص١٢٩.

(٦٠) تكاءدَه الأمرُ: صَعُبَ عليه، واشتدَّ.
ديوان بني بكر في الجاهلية، ص٤٠٣.

(٦١) جفاني الكرى: امتنع عني النوم. الغسق: ظلمة أول الليل. اندفق الدمع: هطل.

(٦٢) الضنى: الهزال.
قبيلة عبس أشعارها وأخبارها في الجاهلية، ص١٢٣.

(٦٣) الروم ، ٣٠/٢١.

(٦٤) عقدات: جمع عقدة: مانعقد وصلب من الرمل. المتقاود: المنقاد المستقيم.

(٦٥) الأساود: جمع أسود: الثعبان الذكر، الشديد السّم.
قبيلة عبس أشعارها وأخبارها في الجاهلية، ص١٢٠.

(٦٦) البازل: الذكر من الجمال أو الأنثى، في السنة التاسعة أو الثامنة. الكوماء: الناقة العظيمة السنام، طويلته. الحصير: سقيفة تصنع من برديّ وأسل، ثم تُفرش.

(٦٧) أرملوا: قلّ زادهم. اليلمعي والألمعي: الصحيح الظن. القرور: البردان.
ديوان شعر الخرنق بنت بدر بن هفان، ص٣٥-٣٦.

(٦٨) يزيد: اسم المزرد.
ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني، ص٧١.

(٦٩) هو؛ من بني جُذَيمة.

(٧٠) الورهاء: الحمقاء، المذمومة الأخلاق، وأصل الوره: الخُرق في كل عمل.

(٧١) مناه الله .. منياً: أصابه به، وابتلاه. الحر: الفَرْج.

(٢) السفاة: التراب. الجثوة الكَبّة منه.
(٣) أعصم-من الشر- واعتصم: التجأ وامتنع. الإتب: الزرع.
(٤) المهفهفة: الخميصة البطن، الدقيقة الخصر. محطوطة؛ كأنها قد صُقلت بالمحطّ: مايُحطُّ به السيف والجلد.
قبيلة عبس أشعارها وأخبارها في الجاهلية، ص١١٥.
(٥) القذى: مايدخل في العين، من الأوساخ. الكرى: النوم.
(٦) صلى النار: أوقدها.
(٧) شمال: ريح الشمال. مزعزعة : التي يُسمع لصوتها دويّ؛ تُحرِّكُ أطناب البيوت، وأُصول الأشجار.
(٨) حذيفة؛ هو :ابن بدر الفزاري، قاتل مالك. الغوادي :جمع غادية: السحابة تصب مطرها غدوةً روّاه وأرواه: جعله ريّان. هاطلة: سحابة ممطرة.
(٩) شعر سُلَيم في عصر ماقبل الاسلام، ص١٤٢.
وينظر: قبيلة عبس أشعارها وأخبارها في الجاهلية، ص١١٧.
(١٠) الحجر: العقل واللُّب.
(١١) الماجد: ذو المجد الرفيع العالي. الغَمر: الجزيل العطاء.
كتاب الاختيارين، ص٢٨٧-٢٨٨.
(١٢) ينظر: غُرَر الفوائد ودُرَر القلائد، الشريف المرتضى، ٢/ ١١٤.
(١٣) راهب: خائف ابتغاء نعمة أخرى، وهذا مِثلُ قولهم: الرهباءُ من الله والرغباءُ إليه؛ ابتغاء مرضاته ونعيمه.
(١٤) هجر؛ من الهُجر: القبيح من الكلام.
(١٥) العِذرة: العذر.
(١٦) راسب: باق، ثابت.
(١٧) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، ص٤١-٤٢.
(١٨) أيام العرب قبل الإسلام، ٢/٥٥٧.
(١٩) الثواء: الإقامة. الثوي: الضيف ألقى مراسيه: استقرَّ.
(٢٠) الضمانة: العاهة والداء. شرج: موضع بين الجواء وناظرة. العوَّد: جمع عائد: زائر المريض.
(٢١) ديوان أوس بن حجر، ص٢٦-٢٧.
(٢٢) هو؛ من بني مالك بن كنانة
(٢٣) تملأ الفما: تجعلكم حديثَ الناس.
(٢٤) أيام العرب قبل الإسلام،٢/٣٠٩.

(٩٥) الوحشيات، ص٢٠٥.
(٩٦) اعترق العظم: أكل ماعليه من لحم.
ديوان زيد الخيل الطائي، ص٧٨.
(٩٧) ديوان الخنساء، ص٢٣٩.
(٩٨) شعراء بني قُشير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأُمويّ ، ١٠/٢.
(٩٩) وقد مَرَّ ذكرُ الملك المنذري: عمرو بن هند، وهو منسوب الى أُمه. وكذا أبوه المنذر بن ماء السماء؛ وهي أمهُ.
(١٠٠) ديوان بني بكر في الجاهلية، ص٤١٤.
(١٠١) كان البرّاق يحب ابنة عمه، ليلى بنت لُكيَز، ثم حدث أن خطفها ابنُ أحد ملوك الفرس، فقالتْ في ذلك شعراً، منه قولها: (من الرمل)

لَيتَ لِلبرَّاقِ عيناً فَترى ماأقاسي مِن بَلاءٍ وَعَنَا

فلما وصل شعرها الى البرّاق، حشد فرساناً كثيرين، وسار الى فارس، ونجح في أن يُخلِّصَها.
(١٠٢) ديوان بني بكر في الجاهلية، ص٤١٨-٤١٩.
(١٠٣) لله درك؛ أي: جزاء عملك من الله. نصيح: ناصح.
(١٠٤) سمر: رماح، ووصف الرماح بالسمرة، لأن قناة الرمح إذا َصلُبت، اسمرَّ لونها. ذبل: رماح، قنواتها جافة.
(١٠٥) ديوان بني بكر في الجاهلية، ص٤٢٢-٤٢٤.
(١٠٦) اللحيت: الساقط، الخامل الذكر فيهم، أو الدخيل. النضار: الرفيع، أوالخالص النسب.
(١٠٧) المهرات: جمع مُهرة. المهر؛ أي:جنس الأمهار، الذكور.
ديوان شعر الخرنق بنت بدر بن هفان، ص٣٠-٣٢.
(١٠٨) ماحو المغائظ: يَعركون الغيظ بِجُنوبهم، يقال: مسحتُ غيظَ فلانٍ بجنبي: حلُمتُ عنه.
شرح أشعار الهذليين، ٧٧٣/٢.
(١٠٩) يكبون: ينحرون. العشار: جمع عُشَراء: الناقة التي قد أتت عليها -من حملها- عشرة أشهر.
ديوان الخنساء، ص١٢١.
(١١٠) الحرتان: من بلاد عبس ظهرت فيها نار، فأطفأها خالد بن سنان العبسي، فكانت معجزةً له.

(١) قبيلة عبس أشعارها وأخبارها في الجاهلية، ص١٢٢.
(٢) اللَّام والذَّيم: العيب.
(٣) ديوان شعر الخرنق بت بدر بن هفان، ص٣٧-٣٨.
(٤) شرح أشعار الهذليين، ٨٤٩/٢.
(٥) صدورها: مقدمتها، طليعة الفرسان. قُطِعت همزة "ابنا"، للضرورة. العشير: الجماعة.
(٦) تقطع الأرحام؛ كناية عن ذهاب الحب من بين الأقارب.
(٧) تبدد شمل القوم: تفرق جمعهم. هتك الستور: خرقها وانكشافها.
(٨) ديوان بني بكر في الجاهلية، ص٤٠٥.
(٩) ركبتْ؛ رُكبَ من الحرب، مرْكَبٌ شديد. جرباء: عارية من وبرها، وذاك أخشن لمن يركبها، وأذلُّ للراكب. والجرباء: أشأم دابة في الأرض، وأنها تُعدي كلَّ شيء قاربتْ. باقرة: شديدة، وتُبقر: تُفسد كلَّ شيء مرَّتْ به. الطبق: فِقار الظَّهر. حلَّت الحربُ، وركبت على طبق عارٍ من وسط ظهرها، ليس عليه لحمٌ ولا وَبَرٌ؛ فركوبه أشدُ ما يكون.
ديوان الخنساء، ص٢٩٥.
(١٠) الظُر من الأرض: الشديدة، الخشناء التي قد بَدتْ رؤوس حجارتها.
(١١) لسان العرب، مادة بقر.